العباس بن الوليد بن عبد الملك

فاتح شطر الأناضول

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المورد العراقية– المجلد 8 – ج1– ص 55 – 80

1399هـ - 1979م

العباس بن الوليد فاتح شطر الأناضول

بقلم الاستاذ

محمود شيت خطاب

المجمع العلمي العراقي ــ بغداد

نسبه وأيامه الاولى

هو العبّاس بن الوليد بن عبدالملك بن مَروان ابن الحَكم بن أبي العاص أمَيّة بن عَبد شَمْس ابن عَبد مَناف بن قُصَي الأمَوي(٢) .

أبوه : أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك بن مروان ، يُكنىّ بأبي العباس(٣) ، وكان للوليد تسعة عشر ولداً ذكراً(٤) ، وكان العباس أكبرهم وبه كان أبوه يُكنى(٥) ، ومن المعروف ان الأب يكنىّ باسم أكبر أولاده الذكور ، كما تقضي بذلك التقاليد العربية المعمول بها حتى اليوم .

وأمّه أم ولد(٦) نصرانية(٧) .

نشأ العباس وترعرع في كنف والده الوليد ابن عبدالملك ، وكان عهد الوليد متميزاً بالفتوح التي امتدت شرقاً إلى حدود الصين بقيادة قُتَيْبَة ابن مُسْلِم الباهلي وإخوته ، وغرباً إلى حدود فرنسا بعد فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نُصَيْر ، فكان عهد الوليد بحق العهد الذهبي لدولة الأمويين في الشام فتحاً .

فقد فتح الوليد الأندلس كلها ، والسِّند(٨) كلها ، وما وراء النهر(٩) ، وغزا ملك الصين(١٠) ، فكان أكثر بني أميّة فتوحاً وأكثر الخلفاء الفاتحين

(١) الأنضول أو الانطول : لفظة يونانية معناها ، المشرق ، وهي اسم لشبه جزيرة كبيرة ، هي عبارة من : (آسيا الصغرى) كما نطلق عليها اليوم . يحدها من الشمال الغربي الدردنيل وبحر مرمرة والبحر الاسود ، ومن الشرق جبال ارمينية وفروعها الجنوبية الغربية الى مدينة الاسكندرونة ، ومن الجنوب البحر الابيض المتوسط ، ومن الغرب الارخبيل اليوناني ، والانضول هو ما نسميه اليوم : تركيا عدا القسم الأوربي منها ، انظر التفاصيل في : منجم العمران (٦٣/٢–٦٥) والجغرافية العمومية (١٨١–١٨٥) .

(٢) انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٢٢٣/٥) وتهذيب الاسماء واللغات (٢٠٩/١) وجمهرة أنساب العرب (٨٩–٩٠) وفوات الوفيات (٣١/٢) وقادة فتح المغرب العربي (٩٥/٢) وتهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .

(٣) أسماء الخلفاء والولاة ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٦١) ، وانظر العيون والحدائق (١٢) والعقد الفريد (٤٢٢/٤) و البداية والنهاية (١٦١/٩) .

(٤) البداية والنهاية (١٦٦/٩) وجمهرة أنساب العرب ٨٩) .

(٥) العيون والحدائق (١٢) وانظر العقد الفريد (٤٢٢/٤) .

(٦) البداية والنهاية (١٦٦/٩) والعقد الفريد (٤٢٢/٤) .

(٧) المحبر (٣٠٥) والمعارف (٣٥٩) وتهذيب ابن عساكر (١٧١/٧) .

(٨) السِّند : بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥١/٥) والمسالك والممالك للاصطخري (١٠٢) وآثار البلاد واخبار العباد (٩٤–٩٥) وتقويم البلدان (٣٤٦–٣٥١) . وهي في الوقت الحاضر أكثر مناطق باكستان الغربية .

(٩) ماوراء النهر : هو ماوراء نهر جيحون ، فما كان في شرقيه يقال له : ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو خُراسان وولاية خوارزم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٠/٧) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦١) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٥٧) وتقويم البلدان (٤٨٣–٥١٥) واحسن التقاسيم (٣١٠) .

(١٠) جُمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٤٠) .

فتوحاً بعد الفاروق القائد عمر بن الخطاب(١١) رضي الله عنه .

وعاش العباس في جو من الاستقرار لم تشهد له الدولة الأموية مثيلاً ، والاستقرار عامل من أهم عوامل الفتوح ، لأنه ييسر للدولة الاتجاه بقواتها الضاربة نحو العدو الخارجي حماية البلاد المفتوحة وفتحاً جديداً ودفاعاً عن الحدود والسكّان ، فتنصرف تلك القوات بكل طاقاتها لواجبها الأصليّ ، ولا تقتصر على واجبها الثانوي في مجال إخماد الفتن الداخلية والاضطرابات المحلية وتوطيد الأمن والاستقرار داخلياً .

كما أنّ هذا الاستقرار يثمر ثمرات يانعة في المجال العلمي والاقتصادي ، فتطوّرت العلوم وانتشرت المدارس العلمية وبرز العلماء الأفذاذ ، كما شاع العمران في أيام الوليد ، وبقيت آثاره العمرانية حتى اليوم في الجامع الأموي بدمشق والمسجد الأقصى بالقدس ومسجد النبي صلى الله عليه وسلّم بالمدينة المنورة : (وكانت همة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمرت ؟(١٢)) ، وبنى المساجد في دمشق ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذومين وقال لهم : «لا تسألوا الناس» ، وأعطى كلّ مُقعَد خادماً ، وكلّ ضرير قائداً ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم .(١٣)

في هذا الاستقرار ، تعلّم العباس في كنف والده علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والتاريخ والسير والأخبار وعلوم اللغة وفنون الأدب شعراً ونثراً ، كما أتقن الفروسية والرمي بالنبال والطعن بالسيف والرمح ، فأصبح فارس بني أمية(١٤) دون منازع ، وكان الوليد حين يتحدّث عن أولاده يقول : «العباس فارسهم» .(١٥)

ويحدثنا المؤرخون أنّ الوليد كان يَجِدُ في العباس وَجْداً شديداً، وكان له في قلبه أحسن موقع، فأدبه بجميع الآداب ، حتى علمه الرقص وضرب الطبل .(١٦)

ولعلّ الحياة علّمت العبّاس علماً ليس في الكتب والقراطيس ، ولكنه أهم مما في الكتب والقراطيس ، فقد كان بحكم انتسابه إلى بيت الخلافة يشهد إصدار القرارات الادارية والسياسية والعسكرية من قيادة الدولة الأموية العليا ، وقد شارك في إصدار تلك القرارات بشكل أو بآخر ، وشارك عملياً في الغزوات والفتوح ، فأضاف بذلك إلى العلم المكتسب تجارب عملية ، مما جعل لشخصيته في الادارة والسياسة والقيادة وزناً مرموقاً ، نلمس أثرها في سيرته رجل دولة وقائداً فاتحاً ، وعالماً وأديباً .

جهـــاده

١ – في بلاد الرّوم

أ . في سنة ثمان وثمانين الهجريّة (٧٠٧م) غزا مَسْلَمَة بن عبدالملك والعبّاس بلاد الروم ، وكان الوليد بن عبدالملك قد كتب إلى صاحب (إرمينية)(١٧) يأمره أن يكتب إلى ملك الروم يعرّفه أنّ (الخَزَر) وغيرهم من ملوك جبال (إرمينية) قد اجمعوا على قصد بلاده ، ففعل ذلك وأكثر الوليد من حشد قوّاته القاصدة بلاد الروم، فساروا نحو (جزيرة ابن عمر(١٨)) ، ثم عطفوا منها إلى بلاد الروم ، واصطدم الفريقان ، فانهزم الروم أولاً ، ثم أعادوا الكرّة فانهزم المسلمون ، ولكن

(١١) انظر فتوح عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابنا : القائد (٤١–٤٢) .

(١٢) البداية والنهاية (٩/١٦٥) وانظر ابن الأثير (٥/١٠) .

(١٣) البداية والنهاية (٩/١٦٤) وابن الأثير (٥/٩) .

(١٤) المعارف (٢٥٩) والعيون والحدائق (١٤) وانظر تهذيب ابن عساكر (٧/٢٧٠) .

(١٥) العيون والحدائق (١٤٩) .

(١٦) تهذيب ابن عساكر (٧/١٧١) .

(١٧) ارمينية : اسم صقع واسع من برذعة الى باب الابواب والى بلاد الروم ، وقيل : أرمينية الكبرى خلاط ونواحيها . وارمينية الصغرى تفليس ونواحيها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ : ٣٠٣) والمسالك والممالك للاصطخري ، ١٠٨ وتقويم البلدان ، ٣٨٧ .

(١٨) الجزيرة : جزيرة ابن عمر ، وهي التي بين دجلة والفرات ، تشمل على ديار مضر وديار ربيعة ، سميت : الجزيرة ، لأنها بين دجلة والفرات ، وهي صحيحة الهواء جيدة الربيع والنماء واسعة الخيرات ، بها مدن جليلة وحصون وقلاع ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٩٦) ، وانظر حدودها بالتفصيل في المسالك والممالك للاصطخري (٥٠) .

العباس ثبت على رأس (السّاقة(١٩)) صارخاً : « أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟! » ، فقيل له : نادهم يأتوك ، فنادى : « يا أهل القرآن ! » ، فأقبلوا جميعاً ، فهزم الله الروم حتى دخلوا (طوانة(٢٠)) وحاصرهم المسلمون حصاراً شديداً، ففتحوها في جمادى الأولى من هذه السنة وشتوا فيها .(٢١)

وهكذا شارك العباس مَسْلَمة بن عبدالملك في فتح (طوانة) ، وكان أثر العباس بارزاً في احراز النصر ، لانّ ثباته قلب الهزيمة إلى نصر ، وصان قوّات المسلمين من تكبيدها خسائر فادحة في الارواح ، وزعزع معنويات الروم .

ب. وفي سنة تسعوثمانين الهجرّية (٧٠٨م) غزا مسلمة بن عبدالملك ومعه العبّاس أرض الروم ودخلاها جميعاً ثم تفرقا ، فافتتح العبّاس (اذرولية)(٢٢) ، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم ، كما غزا العباس الصائفة منناحية البَذَنْدُون)(٢٣)

ومن الواضح انّ مسلمة والعباس بعد أن قضيا فصل الشتاء في المنطقة ، استمرا على الغزو صيفاً قبل ان يعودا أدراجهما إلى قواعد المسلمين، فبقيا للفتح صيف سنة ثمان وثمانين وشتاءه ، وصيف سنة تسع وثمانين الهجريتين ، مما يدل على استمرارية تحمل العباس لأعباء الجهاد على الرغم من قسوة البرد وشدته في تلك المناطق الجبلية الوعرة .

جـ . وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٩م) غزا مسلمة بن عبدالملك أرض الروم من ناحية (سُورية) .(٢٤) ، ففتح الحصون الخمسة التي بـ (سورية) .(٢٥)

وغزا العباس حتى بلغ (الأَرْزَن)(٢٦) في رواية ، وحتى بلغ (سوريّة) في رواية أخرى ، وهناك نصّ على انّ الرواية الثانية اصح(٢٧) ،اى انه بلغ (سورية) في هذه الغزوة .

واتفق مع الذين رجّحوا الرواية الثانية ، لأنَّ الخليفة وليد بن عبدالملك بعث ابنه العباس سنة ثمان وثمانين وتسع وثمانين الهجريتين قائداً برفقة أخيه مسلمة بن عبدالملك وهو عم العباس ، ليتدرب على القيادة بأشراف مسلمة الذي كان حينذاك ابرز قادة بنى أمية ويمارس فنون القتال وإدارة المعارك تحت توجيه مسلمة ورعايته ؛ أما في سنة تسعين الهجرية ، فقد بعثه أبوه إلى أرض الروم غازياً على رأس قوة مستقلة قائداً مستقلاً ، لتدريبه على تحمل مسئولية القيادة وممارسة

(١٩) الساقة : جماعة من الفرسان والمشاة لحماية مؤخرة القسم الاكبر من القوات العسكرية المتحركة نحو اهدافها . والقسم الاكبر : الجيش المتحرك نحو اهدافه ناقصاً قطع الحماية (المقدمة ـ الساقة ـ المجنبات) .

(٢٠) طوانة : بلد بثغور المصيصة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٥/٦) .

(٢١) الطبري (٤٣٤/٦) وابن الاثير (٥٣١/٤) وانظر العبر (١٠٣/١) ، وفي الطبري (٤٣٤/٦) : ان فتح طوانة كان في جمادى الآخرة ، وانظر العيون والحدائق (٢) ، وفي تهذيب ابن عساكر (١٧١/٧) : « ان العباس كبّد الروم ثلاثين الفا » وفي ذلك مبالغة واضحة ، وفيه انه غنم مئة دينار كاي فرد من اصحابه .

(٢٢) اذرولية : هكذا وردت في الطبري (٤٢٩/٦) وابن الأثير (٥٣٥/٤) ، ووردت في ابن خلدون اردولية في (١٥٤/٣) ، ولم أجد لها ذكرا في المصادر الجغرافية القديمة ، ومن المحتمل ان يكون موقعها في منطقة (طوانة) .

(٢٣) البلندون : وردت في الطبري (٤٣٩/٦) البـدرون ، اما في ابن الاثير (٥٣٥/٤) فقد وردت : البلدنون ، ووردت في ابن خلدون (١٥٤/٣) فقد وردت : البادبدون ، والصواب ما جاء في ابن الأثير . والبلندون : قرية بينها وبين طرسوس يوم ، من بلاد الثغر ، مات بها الخليفة العباسي المامون ، فنقل منها الى طرسوس ودفن فيها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩٤/٢) ، وانظر الطبري (٤٣٩/٦) وابن الاثير (٥٣٥/٤) وابن خلدون (١٥٤/٣) حول غزو هذه القرية .

(٢٤) سورية : موضع بالشام بين خناصرة والسلمية ، والعامة تسميها ، (سوية) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) .

(٢٥) الطبري (٤٤٢/٦) وابن الاثير (٥٤٧/٤) وابن خلدون (١٥٤/٣) والنجوم الزاهرة (٢٢١/١) والعبر (١٠٤/١) ، وانظر التفاصيل في جهاد مسلمة بن عبدالملك الخاص بفتحه سنة تسعين الهجرية .

(٢٦) الارزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ، ولها قلعة حصينة ، وكانت من اعمر نواحي ارمينية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٠/١) ، وقد عد قوم الارزن من اطراف (ديار بكر) مما يلي الروم ، وقوم يعدونها من (جزيرة ابن عمر) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩١/١) .

(٢٧) الطبري (٤٤٢/٦) وابن الاثير (٥٤٧/٤) وابن خلدون (١٥٤/٣) ، وقد وردت فيه : (اردن) بدلا من : (ارزن) ، وتاريخ ابن خياط (٣٠٦/١) والنجوم الزاهرة (٤٢١/١) .

الأعمال القيادية منفرداً بعد إكمال تدريبه تحت إشراف مسلمة سنتين كاملتين ، ولكن الخليفة الوليد بن عبدالملك اراد ان تكون الغزوتان غزوة مسلمة ، وغزوة العباس ، على محورين متقاربين تجتمعان في هدف واحد ، لكي يجعل مسلمة اخاه يعاون ابنه العباس عند الحاجة ، وبذلك حقق هدفين في آن واحد ، الاول تدريب ابنه على القيادة المستقلة ، والثاني الاّ يجعله بعيداً عن قوات مسلمة حتى لا يلقى به إلى التهلكة .

واجتماع القوتين : قوة مسلمة ، وقوة العباس ، في (سورية) يحقق للوليد بن عبدالملك هذين الهدفين ، ولا يجعل العباس يتوغل في غزوته إلى (الارزن) التي هي بعيدة عن (سورية) ، فيعزله عن سند مسلمة له ، قبل أن يستكمل العباس التجربة العلمية علىالقيادة المستقلة الفعلية كما ينبغي .

والواقع أن هناك مدينة : (أرزن) التي تقع بالقرب من مدينة (ميّافارقين)(٢٨) وهي من بلاد (جزيرة ابن عمر) ، و (أرزن) الروم التي تقع على الفرات الغربي(٢٩) ، و (أرزن) الروم هذه هي التي تسمى اليوم (أرز روم)(٣٠) ، والمدينتان بعيدتان عن (سوريّة) ، ومن الصعب ان تبتعد قوات العباس عن قوات مسلمة هذاالبعد الشاسع ، وهو — اي العباس — في سنيه التدريبية الأولى على القيادة .

د . وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١م) غزا العباس أرض الروم ، ففتح (سَمَسْطِيّة) كما ذكر الطبرى ، و (سبسطية) كما ذكرها ابن الأثير ، و (سبيطلة) كما ذكرها ابن خلدون(٣١) ؛ أما (سمسطية) و (سبيطلة) فلا ذكر لهما في المصادر الجغرافية القديمة التي بين أيدينا ولا في المراجع الحديثة المتيسرة لدينا ؛ وأما (سَبَسْطِيَة)(٣٢) فهي مدينة فلسطينية معروفة، ولا تزال آثارها قائمة حتى اليوم على طريق (نابلس) — (جِنين) بالقرب من مفرق طريق (نابلس) — (طول كرم) باتجاه مدينة (جنين) في فلسطين .

والظاهر انّ المدينة التي فتحها العباس في هذه السنّة هي مدينة (سُمَيْسَاط)(٣٣) ، ومما يؤيد ذلك انّ هذهالمدينة على محور الفتح حينذاك، وهي في منطقة القتال الناشب بين الروم والمسلمين حمايةً للحدود الشمالية الغربية لبلاد المسلمين ، كما وردت نصوص صريحة انّ العباس فتح هذه المدينة في تلك السنة(٣٤) .

كما فتح العباس في هذه السنة (طَرَسُوس)(٣٥) و (المرزبانين)(٣٦) ومن الواضح ان (المرزبانين) تقع في منطقة (طرسوس) .(٣٧)

وهذه هي المرة الأولى التي يغزو فيها العباس مستقلاً ، لايرافق فيها عمه مسلمه ابن عبدالملك ، كما حدث سنتي ثمان وثمانين وتسع وثمانين الهجريتين ، وبعيداً عن منطقة مسلمة كما حدث سنة تسعين الهجرية ، وهذا دليل على انّ العباس شبّ على الطّوق ، بعد ان استكمل تدريبه العملى على القيادة بأشراف عمه القائد اللامع المجرب مسلمه ، فأصبح مجرباً في الحروب وموثوقاً بقيادته ،واهلاً لتحمل المسئولية القيادية مستقلاً.

ولكن اين قضى سنتى إحدى وتسعين واثنتين وتسعين الهجريتين ؟ هل بقى إلى جانب والده الوليد بن عبدالملك لتدريبه على القضايا

---

(٢٨) مدينة بديار بكر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١٤/٨) ، وانظر ايضا بلدان الخلافة الشرقية (١٤٣-١٤٤) .

(٢٩) يعرف عند الاتراك اليوم باسم : قره صو ، اي الماء الاسود .

(٣٠) أرزدوم : أرض الروم ، فسماها : العرب ارزن الروم ، وعرفها الارمن باسم مدينة : كرن (Karin) والروم باسم : ثيودسيوبوليس (Theodosiopolis) انظر : بلدان الخلافة الشرقية (١٤٩) ، وانظر تهذيب ابن عساكر (١٧١/٧) .

(٣١) الطبري ٤٦٩/٦ ، وفي ابن الاثير (٥٧٨/٤) وردت : (سبسطية) ، وفي ابن خلدون (١٥٤/٣) وردت : (سبيطلة) .

(٣٢) انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩/٥) .

(٣٣) سميساط : مدينة تقع غربي نهر الفرات ، ولها قلعة في شق منها يسكنها الارمن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٢٨/٥) وتقويم البلدان (٢٤٤-٢٤٥) .

(٣٤) انظر النجوم الزاهرة (٢٢٦/١) .

(٣٥) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم ، بينها وبين (اذنة) ستة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨/٦-٣٩) وتقويم البلدان (٢٤٨-٢٤٩) ، وذكرها الطبري في احداث سنة خمس وتسعين الهجرية باسم : (طولس) ، انظر الطبري (٤٩٢/٦) .

(٣٦) المرزبانين : لا ذكر لها في المصادر الجغرافية التي بين أيدينا ، وقد وردت بهذا الاسم في الطبري (٤٩٢/٦) وابن الأثير (٥٧٨/٤) ، ووردت في النجوم الزاهرة (٢٢٦/١) باسم : المرزبان .

(٣٧) ابن الأثير (٥٧٨/٤) والنجوم الزاهرة (٢٢٦/١) .

السياسية والادارية ؟ هل غزا فيهما دون أن يرد عن غزواته شيء في التاريخ ؟ ذلك ما أغفله المؤرخون!

وارجح أنّ والده استبقاه إلى جانبه ، ليشرف على تدريبه العملي في شئون الحكم ، لأن المؤرخين حريصون على ذكر الغزوات ونتائجها ، فليس من المحتمل أن يغفلوا ذكر غزواته خلال عامين كاملين ، لو أنه كان خلالهما غازيا .

هـ . وفي سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) ، غزا العباس ارض الروم ، ففتح مدينة (أنطاكِيَة)(٣٨) على ساحل البحر الابيض المتوسط(٣٩) ، وفتح (قارطة)(٤٠) من الساحل أيضاً .(٤١)

والمعروف أنّ (انطاكية) فتحها ابو عبيدة ابن الجرّاح لأول مرة سنة خمس عشرة الهجرية(٤٢) (٦٣٦م) ، ولكنّ الروم استعادوها من المسلمين لنشوب الاضطرابات الداخلية واضطراب امور المسلمين ، فأعاد العباس فتحها .

ولم يتطرّق المؤرخون الى تفاصيل معركة استعادة فتح (انطاكية) ، ومن المحتمل أن تكون المعركة قاسية ، تكبّد فيها الطرفان : المسلمون والروم خسائر فادحة ، فأحرقها العباس ، فأطلق عليها : (انطاكية) المحترقة(٤٣) ، وقد يكون سبب إحراقها شدّة مقاومتها للفاتحين وبقاءها مدة طويلة ثابتة تقاوم الحصار .

وكانت قد حدثت زلازل عظيمة بالشام هذا العام دامت في غالب البلاد اربعين يوما ، وكان اولها من عشرين آذار (مارس) ، فهدمت الابنية ووقع معظم (أنطاكية)(٤٤) ، فمن المحتمل انّ إحراقها الذي جرى في صيف ذلك العام جرى لانها اصبحت ركاما ، مما شجّع العباس على الاقدام لاحراق المدينة حتى تنهار مقاومتها إذ لم يقدم الفاتحون المسلمون على إحراق المدن العامرة في أيام الفتح الاسلامي .

و . وفي سنة خمس وتسعين الهجريّة (٧١٣م) غزا العبّاس بلاد الروم ، نفتح (طولس)(٤٥) و (المرزبانين)(٤٦) و (هِرَقْلَة)(٤٧)

وقد تكرر فتح (طولس = طرسوس) و (المرزبانين) مرتين : مرة سنة ثلاث وتسعين الهجرية كما ذكرنا ، ومرة سنة خمس وتسعين الهجرية ، ولعل سبب ذلك اختلاف المؤرخين في التوقيت ، والاختلاف في هذه الحالة على كل حال طفيف .

وقد يكون سببه ، أنّ العباس فتحها مرة سنة ثلاث وتسعين الهجرية ، فانتقضتا كما يحدث اعتيادياً في المواقع القريبة من الحدود أو التي تشكل الحدود ، فتكون السيطرة عليها بين مد وجزر وكرّ وفر .

اما (هرقلة) فقد فتحها مسلمة بن عبدالملك سنة تسع وثمانين الهجرية(٤٨) (٧٠٨م) ، فمن المحتمل انّ الروم استعادوها من المسلمين ، فجدّد فتحها العباس وأعادها كرّة اخرى إلى حوزة المسلمين .

(٣٨) انطاكية : مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) . ولها قلعة عالية جدا تتبين من بُعد بعيد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٥٣) وآثار البلاد واخبار العباد (١٥٠) وتقويم البلدان (٢٥٦-٢٥٧) .

(٣٩) ابن الأثير (٤/٥٨٢) وابن خلدون (٣/١٥٤) والنجوم الزاهرة (١/٢٢٧) وتاريخ ابن خياط (١/٣١٠) .

(٤٠) قارطة : لا ذكر لها في المصادر الجغرافية القديمة التيسرة ، ومن الواضح انها قريبة من انطاكية .

(٤١) تاريخ ابن خياط (١/٣١٠) ، وقد انفرد هذا التاريخ بهذا الفتح .

(٤٢) ابن الأثير (٢/٤٩٥) ، وانظر كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٦٤) .

(٤٣) البلاذري (٢٣٣) ، وانظر ما جاء عن فتح انطاكية في : تهذيب ابن عساكر (١/١٧١) .

(٤٤) النجوم الزاهرة (١/٢٢٧) .

(٤٥) طولس : لا ذكر لها في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة ، وقد ذكرنا انها مدينة (طرسوس) ، انظر ما جاء في فتوح سنة ثلاث وتسعين الهجرية في الفقرة (د) اعلاه ، وانظر ما جاء في زبدة كشف الممالك (٥٠) .

(٤٦) المرزبانين : ورد ذكرها في فتوح سنة ثلاث وتسعين الهجرية ، انظر ما جاء في فتوح سنة ثلاث وتسعين الهجرية في الفقرة (د) اعلاه .

(٤٧) هرقلة : مدينة ببلاد الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤٥٣-٤٥٤) ، وهي مدينة (اراكلية) الحديثة حسب تسميتها عند الاتراك ، وهي هركلية (Heraclia) عند الروم . انظر الطبري (٦/٤٩٢) حول فتح هذه الحصون .

(٤٨) الطبري (٦/٤٣٥) وابن الأثير (٤/٥٣٥) .

وفي هذه السنة أيضاً ، افتتح العباس مدينة (قِنَّسْرين)(٤٩) ، كما جاء في تاريخ الطبري(٥٠) .

ومن المعروف ان أبا عبيدة بن الجرّاح كان قد فتح (قنّسرين) في عهد عمر بن الخطّاب رضى الله عنهما سنة خمس عشرة الهجرية ، وقيل : سنة ست عشرة الهجرية(٥١) (٦٣٦م – ٦٣٧م) ، وهي تقع جنوب مدينة (حلب) ومنها إلى (حلب) مرحلة صغيرة ، وكان الجند ينزلها من ابتداء فتحها ، وهي قاعدة من قواعد اجناد الشام ، فليس من المعقول ان يكتسحها الروم فيستعيدها العباس في تلك السنة ، بينما كان المسلمون قد تغلغلوا شمالاً في بلاد الروم . ومن المحتمل ان الخطأ في ذكر هذا الفتح قد ارتكبه النسّاخ ، والدليل هو ذكر فتحها ليس في أحداث سنة خمس وتسعين الهجرية الذي ورد فيه ذكر فتوح العباس ، بل جاء فتحها منفصلاً ، ولو أن العباس فتحها في هذه السنة لجاء ذكر الفتح مع فتوحه الأخرى لا منفصلاً عنها ، وفي سياق أحداث أخرى ، ومن المحتمل انّ الامام الطبري تحدث عن فتح آخر لمدينة اخرى او منطقة اخرى ، فاشتبه ذلك على النسّاخ فوقع الخطأ الذي لا يقع في مثله الطبري ابداً .

ولم يرد لهذا الفتح في هذه السنة ذكر في المصادر التاريخية الأخرى .

ز . وفي سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١م) غزا العباس أرض الروم ، ففتح مدينة (رَسْلَة)(٥٢) أو (دلة)(٥٣) أو (آواسى)(٥٤) ، ولا ذكر لهذه المدينة بأسمائها الثلاثة في المصادر الجغرافية التي بين أيدينا .

وقد ذُكر للعباس غزوة في أرض الروم سنة اثنتين ومئة الهجرية(٥٥) (٧٢٠م) ، ولا صحة لذلك ، لانه كان في تلك السنة يقاتل يزيد بن المهلّب في العراق ، كما سيرد تفصيل ذلك وشيكا .

كما ذُكرت له غزوة بحريّة الى (خراسان) سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١م) ،ولا صحة لذلك ايضاً ، لانه كان يغزو في تلك السنة الرُوم كما ذكرنا .

لقد كان لجهاد العباس اثر بارز في حماية الحدود الشمالية الغربية للدولة بالهجوم على الرُوم ، والهجوم انجع وسائل الدفاع .

٢ . في توطيد الأمن الداخلي

أ . في سنة مئة الهجريّة (٧١٨م) كتب عمر ابن عبدالعزيز رضى الله عنه إلى عَدِيّ بن أرطاة والي (البصرة) لعمر(٥٦) ، يأمره بإنفاذ يزيد بن المهلّب بن أبي صُفْرَة إلى (دمشق) موثقاً . وكان عمر بن عبدالعزيز قد كتب إلى يزيد ان يستخلف على عمله ويَقبل إليه ، فاستخلف ابنه مَخْلَداً وقدم من (خراسان)(٥٧) ونزل (واسطاً)(٥٨) ، ثم ركب السفن يريد (البصرة) ، فبعث عَديّ ابن أرطاة إليه موسى بن الوجيه الحِمْيَري ، فلحقه في نهر (مَعْقِل)(٥٩) عند الجسر ، فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبدالعزيز في (دمشق) .

(٤٩) قنسرين : بلد في ارض الشام جنوب حلب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٨/٧) والمسالك والممالك للاصطخري (٤٦) وتقويم البلدان (٢٦٦–٢٦٧) والبلدان لليعقوبي (٣٦٣) والاعلاق النفيسة (٩١) واحسن التقاسيم (١٥٤) وصورة الارض (١٦٣) ومختصر كتاب البلدان (١١١) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٧٥) .

(٥٠) الطبري (٤٩٣/٦) .

(٥١) ابن الاثير (٤٩١/٢–٤٩٢) ، وقد جاء في معجم البلدان (١٦٨/٧) : انها فتحت سنة سبع عشرة الهجرية ، وهذا خطأ ، وانظر كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٦٣) حول فتح هذه المدينة .

(٥٢) الطبري (٦١٩/٦) وابن خلدون (٢٨٤/٣) وانظر تاريخ ابن خياط (٣٣٦/١) ولم يذكر فيه اسم المدينة التي فتحها ، والنجوم الزاهرة (٢٥١/١–٢٥٢) .

(٥٣) ابن الاثير (١٠١/٥) و (١٠٥/٥) .

(٥٤) تاريخ الموصل (١٧) .

(٥٥) ابن الاثير (١٠١/٥) وابن خلدون (٢٨٤/٣) .

(٥٦) جمهرة انساب العرب (٢٥٦) .

(٥٧) خراسان : بلاد واسعة تتاخم العراق من الغرب ، وافغانستان والهند من الشرق ، وتقع (كرمان) و (سجستان) الى جنوبها ، وتمتد من الشمال الى تخوم ايران . من امهات مدنها : نيسابور وهراة ومرو وبلخ ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٤٥–١٦٠) ، ومعجم البلدان (٤٠٧/٣) .

(٥٨) واسط : مدينة كبيرة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي ، وسميت : واسطا ، لانها متوسطة بين البصرة والكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٨/٨–٣٨٧) ، وقد اطلق اسم : واسط ، على محافظة من محافظات العراق الحديث ، وهي محافظة : الكوت (سابقا) التي تقع على نهر دجلة .

(٥٩) نهر معقل : منسوب الى مَعْقِل بن يسار المزني رضي الله عنه ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو نهر معروف بالبصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ←

ودعا عمر بيزيد ، فسأله عن مصير الاموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبدالملك ، فقال : « كنتُ من سليمان بالمكان الذي رأيتَ ، وإنما كتبتُ إلى سليمان ، لأُسمعَ الناسَ به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذ به ! » ، فقال عمر : « لا أجد في امرك الاّ حبسك ، فاتقِ الله وأدِّ ما قبلك، فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها » .

وحبس عمر بن عبدالعزيز ابن المهلّب بحصن (حلَب) ، وبعث إلى الجرّاح بن عبدالله الحكَمِيّ فسرّحه إلى (خراسان) اميراً عليها ، فبقى يزيد ابن المهلّب فيمحبسه حتى بلغه مرض عمر بن عبد العزيز(٦٠) .

ولما اشتد مرض عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، خاف يزيد بن المهلّب موت عمر وتولى يزيد بن عبدالملك الخلافة من بعده ، وكان بين اليزيدين : ابن عبدالملك وابن المهلّب عداوة شخصية قبل أن يتولى الخلافة يزيد بن عبدالملك، وقد توعّد كل منهما صاحبه(٦١) ، لذلك ارسل يزيد بن المهلّب إلى مواليه يخبرهم بعزمه على الهرب من سجنه في (حلَب) ، فاعدّوا له ابلاً وخيلا . وواعدهم مكاناً يأتيهم فيه ، وبعث الى قائد الحرس الذى يحفظونه والى الحرس مالاً ، وقال : « إن أمير المؤمنين — عمر بن عبدالعزيز — قد ثقل وليس برجاء ، وإن وليَ يزيد بن عبدالملك يسفك دمي » ، فأخرجوه فهرب .إلى المكان الذي واعد أصحابه فيه، وامتطى هناك الدّوابّ ، وقصد (البصرة) . وكتب الى عمر بن عبدالعزيز كتابا يقول فيه : « إني والله لو وثقت بحياتك ، لم اخرج من محبسك ، ولكني خفت أن يلي يزيد فيقتلني شرّ قتلة » ، فورد هذا الكتاب وبعمر بن العزيز رمق، فقال : « اللّهم إن كان يريد بالمسلمين سوءً فألحقهُ به وهِضْهُ ، فقد هاضني » ، وكان هروب يزيد بن المهلب من سجنه سنة إحدى ومئة الهجرية(٦٢) (٧١٩م) .

وكتب يزيد بن عبدالملك بعد توليه الخلافة الى عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على (الكوفة) ، وإلى عَدِى بن ارطاة عامله على (البصرة) ، يأمرهما بالتحرّز من يزيد بن المهلّب ويعرفهما هربه ، وأمر عدياً أن يأخذ مَنْ بـ (البصرة) من آل المهلّب ويحبسهم ، فأخذهم عَدِى وحبسهم .

واقبل يزيد بن المهلّب حتى ارتفع إلى (القطقطانة)(٦٣) ، وبعث عبدالحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب جنداً إليهم عليهم هِشَام بن مُساحِق العامِرِيّ القرشي — عامر بني لؤَيّ — ، فساروا حتى نزلوا (العذَيب)(٦٤) ومر يزيد بن المهلّب قريباً من جند عبدالحميد ، فلم يقدموا عليه .

ومضى يزيد بن المهلّب نحو (البصرة) وقد جمع عَدِىّ بن أرطاة أهل (البصرة) وخندق عليها ، وبعث على خيل (البصرة) المغيرَة بن عبدالله بن أبي عَقِيل الثَّقَفِيّ .

وبعث عَدِى بن أبي أرْطاة على كل خمس من أخماس (البصرة) رجلا : خَمْس الأزْد ، وخَمس تَميم ، وخمس بَكْر بن وائل ، وخمس عبدالقَيْس ، وخمس العالية من قُريش وكِنَانة والأزْد وبَجيلَة وخَثْعَم وقَيْس عَيلان كلها ومزَينة ، فأقبل يزيد بن المهلّب لايمر بخيلٍ ولا قبيلة من قبائلهم ، إلاّ تنحوا له عن طريقه ، حتى نزل داره في (البصرة) .

واختلف النّاس إلى يزيد بن المهلب ، فأرسل إلى عَدى بن ارطاة : « أن ابعث إليّ إخوتي ، واني أصالحك على (البصرة) واخليك وإياها حتى آخذ لنفسي من يزيد ما أحبّ » .

(٨/٣٤٥-٣٤٦) وفيه : ان عمر بن الخطاب أمر أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما ، ان يحفر نهراً بالبصرة ، وان يجريه على يد معقل بن يسار ، فنسب النهر الى معقل . ولايزال النهر موجودا حتى اليوم ، وعليه ضاحية (المعقل) التي هي من ضواحي البصرة حاليا ، تقع شماليالبصرة وبالقرب منها ، وهي معروفة جدا في الوقت الحاضر ، يقصدها السائحون خاصة في ايام الشتاء ، وفيها مناظر خلابة جميلة .

(٦٠) الطبري (٦/٥٥٦-٥٥٨) وابن الاثير (٥/٤٨-٥٠) ، وانظر كتاب الوزراء والكتاب (٣١) .

(٦١) ابن الاثير ٥ : ٥٧ .

(٦٢) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٦٤-٥٦٥) وابن الاثير (٥/٥٧-٥٨) وابن خلدون (٣/١٦٦) .

(٦٣) القطقطانة : موضع بالقرب من الكوفة من جهة البرية بالطّف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٢٥).

(٦٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية اربعة أميال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٢١) . والمغيثة : منزل في طريق مكة بعد العذيب نحو مكة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٠٦) .

وسار حُمَيْد بن عبدالملك بن المهلّب إلى يزيد بن عبدالملك ، فبعث معه يزيد بن عبدالملك خالداً القَسْري وعمرو بن يزيد الحَكَمي بأمان يزيد بن المهلّب وأهله .

وأخذ يزيد بن المهلّب يعطي مَن أتاه قطع الذّهب والفضّة ، فمال الناس إليه ، وكان عَدِي ابن أرْطاة لايعطى إلادِرْهَمَيْن درهمين لكل رجل من أصحابه ويقول : « لا يحلّ لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلاّ بأمر يزيد بن عبدالملك ، ولكن تَبَلّغوا بهذه حتى يأتي الأمر بذلك من يزيد » ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

أظُنّ رجال الدرهمين تقودهم
إلى الموت آجال لهم ومَصَارِعُ
وأكْيَسُهم مَن قَرّ في قعر بيته
وأيقن أن الموت لابدّ واقع

وخرجت بنو عمرو بن تَمِيْم من أصحاب عَدِي بن أرطاة أمير (البصرة) ،فنزلوا (المِرْبد)(٦٥) ، فبعث إليهم يزيد بن المهلّب مولى له يقال له : دارِس ، فحمل عليهم ، فهزمهم .

وخرج يزيد بن المهلّب حين اجتمع الناس له، حتى نزل جَبّانة بني يَشْكُر ، وهي النصف فيما بينه وبين قصر الأمارة ،فلقيه قَيْس وتميم وأهل الشّام . واقتتلوا هنيهة ثم حمل عليهم أصحاب ابن المهلّب ، فانهزموا .

وتبعهم ابن المهلّب حتى دنا من قصر الامارة في (البصرة) ،فخرج عليهم عَدِي بن أرطاة بنفسه، ولكنّ أصحابه انهزموا بعد قتال تكبّدوا فيه خسائر كبيرة .

وجاء يزيد بن المهلّب حتى نزل داراً إلى جنب القصر ،وأتى بالسّلالم وفتح القصر .وأُتي بَعدِيّ ابن أرطاة فحبسه ، وقال له : « لولا حبسك إخوتي لما حبستك » .

ولما ظهر يزيد بن المهلّب ، هرب رءوس أهل (البصرة) من تميم وقيس وغيرهما ، فلحقوا بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشّام .

وخرج المُغِيْرَة بن زياد العَتَكِيّ نحو الشّام ، فلقي خالداً القَسْرِيّ وعمرو بن يزيد الحَكَمِيّ ومعهما حُمَيْد بن عبدالملك بن المهلّب ، قد أقبلوا بأمان يزيد بن المهلّب وكلّ شيءٍ أراده ، فسألاه عن الخبر ، فخلا بهما سراً من حُمَيْد ، وأخبرهما بأنّ ابن المهلّب قد ظهر على (البصرة)، وقتل القتلى ، وحبس عَدِياً ، ونصحهما بالرجوع إلى الشّام ، فأخذا بنصيحته ورجعا ، وأخذا حُمَيْداً معهما ، فقال لهما حُمَيْد : « أنشدكما الله أن تخالفا ما بُعِثْتُما به ، فانّ ابن المهلّب قابل منكما ، وإنّ هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء ، فلا تسمعا مقالته » ، فلم يقبلا قوله ورجعا به !!!

وأخذ عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطّاب أمير الكوفة خالد بن يزيد بن المهلب وحَمّالَ بن زَحْر ، ولم يكونا في شيءٍ من الأمر ، فأوثقهما وسيّرهما إلى الشام ،فحبسهما يزيدبن عبدالملك ، ولم يفارقا السّجن حتى هلكا فيه .

وأرسل يزيد بن عبدالملك شيئاً من الأموال إلى (الكوفة) لتفرّق على أهلها ، ومنّاهم الزيادة في العطاء .(٦٦)

وأصبح الموقف في (العراق) خطيراً للغاية ، لا يمكن معالجته بالقوات المتيسّرة فيه والموالية للدولة الأُموية ، فلا بدّ من تدخل الخليفة بقواته المركزية الضاربة التابعة للدولة ،لمعالجة هذا الموقف الخطير المتدهور ، قبل استفحاله في (العراق) وترسيخ أقدامه وتوسعه إلى أقطار الدولة الأخرى.

فماذا فعل يزيد للقضاء على ثورة ابن المهلّب؟

ب . جهّز يزيد بن عبدالملك أخاه مَسْلَمة ابن عبدالملك وابن أخيه العبّاس بن الوليد بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشّام و (جزيرة ابن عمر) ، وقيل : كانوا ثمانين ألفاً ، فساروا إلى (العراق) ، وقدموا (الكوفة) ونزلوا بـ

(٦٥) المربد : مربد البصرة من أشهر محالها ، وكان يكون فيه سوق الأبل قديماً ، ثم صار محلة كبيرة ، سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١١-١٢) .

(٦٦) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٧٨-٥٨٥) وابن الاثير (٥/٧١-٧٣) وابن خلدون (٣/١٦٦-١٦٨) ، وانظر خلاصة الذهب المسبوك (٢٦) .

(النخيلة)(٦٧) ، وكان ذلك سنة إحدى ومئة الهجرية .

ولما سمع أصحاب ابن المهلّب بوصول مسلمة والعباس وأهل الشام و (الجزيرة) ، راعهم ذلك، فبلغ ابن المهلّب ، فخطب الناس يشجّعهم ويهوّن من أمر أهل الشّام ،وكان الحسن البصري رضي الله عنه يسمع ، فرفع صوته قائلاً : « والله لقد رأيناك والياً ومولّى عليك ،فما ينبغي لك ذلك»، فوثب أصحاب الحسن واخذوا بفمه واجلسوه . وكان النّضر بن أنس بن مالك يثبّط أهل (البصرة) كمايثبطهم الحسن البصريّ ،منعاً لاقتتال المسلمين فيما بينهم وقطعا لدابر الفتن .

وسار يزيد بن المهلّب من (البصرة) ، واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلّب ،فأتى مدينة (واسط) وأقام بها أياماً ، فخرجت سنة إحدى ومئة الهجرية .(٦٨)

وكان الموقف العسكري خلال هذه السنة يتلخص: سيطرة ابن المهلّب على (البصرة) سيطرة كاملة ، وتقدمه بقواته إلى (النخيلة) بالقرب من (الكوفة) من جهة ، وبقاء (الكوفة) تحت سيطرة بني أميّة ، واندفع العباس على رأس أربعة آلاف فارس بسرعة فائقة إلى (الحيرة)(٦٩) يبادر إليها يزيد بن المهلّب ،فسيطر العباس على منطقة (الحيرة) وجعلها قاعدة متقدّمة للعمليات العسكرية بالنسبة للامويين ، بينما سيطر مسلمة بن عبدالملك على (الجزيرة) وشاطىء الفرات ، ثم انطلق في طريقه إلى العراق باتجاه (الحيرة) نحو قوّات يزيد بن المهلّب(٧٠) .

لقد كان لمبادرة العبّاس بالسيطرة على منطقة (الحيرة) وجعلها قاعدة متقدّمة للعمليات العسكرية المقبلة ، أثر حاسم في حماية قوات مسلمة المتقدمة نحو العراق ، مما حرم ابن المهلّب من محاولة عرقلة تقدم تلك القوات نحو هدفها ، وعجّل بتقديمها دون إزعاج قوات ابن المهلب لها ، كما ضمن لقوات الأمويين الزاحفة قاعدة متقدّمة رصينة ، ترتكز عليها في عملياتها العسكرية بسهولة ويسر وأمان وحماية .

ودخلت سنة اثنتين ومئة الهجريّة (٧٢٠م) ، فسار يزيد بن المهلّب من (واسط) ، واستخلف عليها ابنه معاوية ، وجعل معه بيت المال والأسرى، وسار على فم (النيل)(٧١) حتى نزل (العقر)(٧٢) وقدّم أخاه عبدالملك بن المهلّب نحو (الكوفة) ، فاستقبله العباس بن الوليد بن عبدالملك ب (سورا)(٧٣) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً : كانت الجولة الاولى من المعركة لصالح ابن المهلّب ، ولكن ثبات العباس ورجاله غيّر نتيجة المعركة لصالح الأمويين ، فكانت الجولة الثانية لصالحهم ، وانكشف جيش ابن المهلّب ، وانهزموا عائدين إلى يزيد بن المهلّب .

وبذلك ارتفعت معنويات الأمويين ، وتزعزعت معنويات قوات آل المهلّب .

وكان مسلمة وقواته في مرحلة مسير الاقتراب، فسار على طريق شاطىء (الفرات) إلى (الأنبار)(٧٤) ، فعقد عليها الجسر وعبر ، ثم سار حتى نزل على ابن المهلّب .

وأتى إلى يزيد بن المهلّب ناس من أهل (الكوفة) كثير ومن الثغور ، فقسّمهم اقساماً ، وجعل على كل قسم منهم قائداً ،وكان هذا التقسيم بالنسبة للقبائل العربية كما كان متبعاً في تلك

---

(٦٧) النخيلة : موضع بالقرب من الكوفة على سمت الشام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٧٦-٢٧٧) .

(٦٨) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٧٥-٥٨٩) وابن الاثير (٥/٧٢-٧٧) وابن خلدون (٣/١٦٣-١٦٩) .

(٦٩) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له : (النجف) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٨٦) . والنجف بلد معروف في الوقت الحاضر ، بالقرب من مدينة الكوفة التي تقع على الفرات بينما يقع النجف في الصحراء .

(٧٠) الطبري (٦/٥٨٥) .

(٧١) النيل : بليدة في سواد الفرات قرب (حلة) بني مزيد، يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير ، انظر معجم البلدان (٨/٣٦٠) . والنيل نهر وبلد معروف بأرض (بابل) العراق ، مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة ، حفره الحجاج بن يوسف الثقفي ، وسماه بنيل مصر ، والنيل نهراً نسب الى مدينته المعروفة ، انظر التفاصيل في : المشترك وضعا والمفترق صقعا (٤٢٠) . ومدينة (الحلة) مدينة معروفة تقع بالقرب من أطلال (بابل) القديمة .

(٧٢) العقر : عقر بابل ، قرب (كربلاء) من الكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٦٤-١٦٥) والمشترك وضعا والمفترق صقعا (٣١٢) .

(٧٣) سورا : موضع بأرض (بابل) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٦٨) .

(٧٤) الانبار : مدينة على الفرات في غرب بغداد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٢٠-٣٢٢) . وهي مدينة (الفلوجة) كما تسمى اليوم .

الأيام : الأَزْد ، ومَذْحِج ، وأَسَد ، وكِنْدَة ، وربيعة ، وتَميم ، وهَمْدان ، وجعل على كل قسم من هذه الأقسام رئيس القبيلة ، وجعل أمر كل تلك الأقسام إلى أخيه المُفَضَّل بن المهلّب .

وأحصى ديوان يزيد بن المهلّب ، فكان تعداد رجاله مئة الف وعشرين الفاً ، فقال يزيد :

« لَوَدِدْتُ أنّ لي بهم مَن بـ (خُراسان) من قومي » ، ثم خطب أصحابه وحرّضهم على القتال.

وكان عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطّاب ، قد عسكر بـ (النُخَيْلة) ، وشقّ المياه ، وجعل على المتخلّفين من أهل (الكوفة) الأرصاد ، لئلا يخرجوا إلى يزيد بن المهلّب ، وبعث بَعْثاً إلى مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد بن عبدالملك مع سَبْرَة بن عبدالرحمن بن مَخْيف ، ولكنّ مسلمة عزل عبدالحميد عن (الكوفة) ، واستعمل عليها محمد بن عمرو بن الوليد بن أبي المُعَيْط ، وهو ذو الشامة .(٧٥)

ومن الواضح أنّ عبدالحميد ، لم يكن مسيطراً على (الكوفة) ، لذلك تسرّب كثير من الكوفيين إلى معسكر يزيد بن المهلّب كما لم يكن ذا موهبة قيادية لابد أن يتّسم بها وال كبير كوالي (الكوفة)أهم المدن العراقية حينذاك ، في مثل تلك الاضطرابات الخطيرة التي تجتاح العراق وتهدد مصير الدولة الأموية بأوخم العواقب . وكان لا يتحلى بمزية : المبادرة ، فاتّخذ موقفاً دفاعياً مُستكناً عند وصول يزيد بن المهلب إلى العراق وسيطرته على (البصرة) ، فكان عليه أن يبادر إلى مصاولته قبل أن يستفحل أمره ويفرض سيطرته على (البصرة) ، ويصبح خطراً داهماً على الدولة وكان متردداً ، فضّيع الفرصة السانحة للقضاء على ابن المهلب قبل أن يستشرى خطره ، لذلك عزله مسلمة بن عبدالملك عن (الكوفة) ، وولى قائداً متميزاً عليها ، ليضمن أهم قاعدة أمامية من قواعده في العراق .

جـ . وجمع يزيد بن المهلّب رءوس أصحابه ، فقال : « قد رأيت أن أجمع اثنى عشر الفاً ، فأبعثهم مع أخي محمد بن المهلّب حتى يبيّتوا مسلمة ، ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبُل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم بقيّة ليلته ، وامدّه بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحت نهضت إليهم في النّاس فأناجزهم ، فأني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم » ، فأجابه أحد أصحابه(٧٦) قائلاً : إنّا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قبلوا ذلك منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردّوا ما زعموا أنهم قابلوه منّا » ، فثنى على قوله آخر(٧٧) قائلاً : « صدق ! هكذا ينبغى ! » ، فقال يزيد بن المهلّب : « ويحكم ! ... إنهم يخادعونكم ليمكروا بكم ، فلا يسبقوكم إليه . إني لقيت بنى مروان ، فما لقيتُ منهم أمكر ولا أبعد غوراً(٧٨) من هذه الجرادة الصفراء » ، يعنى : مسلمة بن عبد الملك الذى كان يلقّب بالجرادة الصفراء ، فقالوا : « لا نفعل ذلك حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منّا » .

وكان مروان بن المهلّب بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشّام ، والحسن البصرى يثبطهم ، فهدد مروانُ الحسَنَ بالعقوبة الصارمة وتوعّده ، فقال الحسن : « والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه(٧٩) » . فقال ناس من أصحاب الحسن : « لو أرادك ، ثم شئتَ لمنعناكَ » فقال لهم : « فقد خالفتكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه !! آمركم الاّ يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى ، وآمركم أن يقتل بعضكم بعضاً دُونى ! » .

وكان اجتماع يزيد بن المهلّب ومسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد بن عبدالملك ثمانية أيام فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صفر سنة اثنتين ومئة الهجرية بعث مسلمة من يحرق الجسر ، وكان طريق انسحابهم الوحيد في حالة اندحاره ، ليظهر قراره الحاسم لرجاله وأعدائه على حد سواء ، بأنه قرّر القتال لآخر رجل من رجاله وآخر رمق ، فأما النصر او الموت في ساحة الاقتتال .

وخرج مسلمة فعبّأ جنود أهل الشام : جعل على ميمنته جَبَلَة بن مَخْرَمَة الكِنْدِي ، وعلى ميسرته الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث الكِلابيّ .

(٧٥) الطبري (٥٩٠/٦-٥٩٢) وابن الاثير (٧٩/٥-٨٠) وابن خلدون (١٦٨/٣-١٦٩) والعيون والحدائق (٦٨-٦٩) .

(٧٦) هو رؤبة راس الطائفة المرجئة ، ومعه أصحاب له .

(٧٧) اسمه : السَّمَيْدَع الكندي من بني مالك بن ربيعة من ساكني (عُمان) ، كان يرى راي اهل الخوارج ، فبعث اليه يزيد بن المهلب ودعاه الى نفسه ، فاجابه ، انظر الطبري (٥٨٣/١) .

(٧٨) الطبري (٥٩٣/٦) ، وفي ابن الاثير (٨٠/٥) : غدراً .

(٧٩) يريد : بعقوبته وتوعده .

وجعل العبّاس على ميمنته سيف بن هانىء الهمدانيّ ، وعلى ميسرته سُوَيْدُ بن القعقاع التميميّ .

وكان مسلمة على الناس قائداً عاما .

وخرج يزيد بن المهلّب فعبأ رجاله ايضاً : جعل على ميمنته حبيب بن المهلّب ، وعلى ميسرته المُفَضّل بن المهلب .

وقرب مسلمة بجموعه من جموع يزيد بن المهلّب ، فالتحم الجمعان .

ووقّتَ مسلمة بن عبدالملك موعد إحراق الجسر ببداية نشوب الاقتتال وقبل اشتداده ، فلم يكد التّماس الأول يبدأ بالمبارزة ، إلاّ والهب النار في الجسر الموكل بأحراقه ، فسطع دخانه ، وقد اقبل الناس ونشبت الحرب ولم يشتدّ الاقتتال ؛ فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : اُحرق الجسر ، فانهزم أصحاب يزيد ابن المهلّب ، فقيلَ له : قد انهزم النّاس ! فقال : « ممَّ انهزموا ! ! ؟ هل كان قتال يُنهزَم من مثله ؟! » ، فقيل له : اُحرق الجسر ، فلم يثبت احد ! فقال : « قبّحهم الله ! بَقٌ دُخّن عليه فطار ! » . ثم خرج ابن المهلّب معه أصحابه ، فقال : « اضربوا وجوه المنهزمين » ، ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه ، واستقبله أمثال الجبال ، : « دعوهم فوالله إنيّ لأرجو أن لا يجمعني وإياهم مكانٌ ابدا . . . دعوهم يرحمهم الله اغنَمٌ عدا في نواحيها الذّئب » .

ونزل يزيد بن المهلّب يقاتل ، فجاءه مَن ينعى إليه اخاه حبيباً الذى قتل في المعركة ، فقال يزيد : « لاخير في العيش بعده ، قد كنت أبغض الحياة بعد الهزيمة ، وقد أزددت لها بغضاً . . . امضوا قدُماً » ، فعلموا انه قد استقتل ، لذلك تسلل عنه مَن يكره القتال ، وبقي معه جماعة حسنة ، وهو يتقدّم ، فكلما مرّ بخيل كشفها ، أوجماعة من أهل الشّام عدلوا عنه .

واقبل يزيد نحو مسلمة لايريد غيره ، فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب ، فعطفت على يزيد خيول أهلالشّام وعلى أصحابه ،فقتل يزيد ومحمد بن المهلّب .

وكان المفضّل بن المهلب يقاتل أهل الشام ، وما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة النّاس ،وكان كلما حمل على جند الشام انهزموا عنه ، ولكنّ أصحابه تخلوا عنه وهو يقاتل ، فقيل له : ما تصنع ها هنا، وقد قُتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس منذ أمد طويل ؟!

ومضى المفضّل إلى (واسط) ، ولم يكن في العرب اضرب بسيف ولا أحسن تعبئة للحرب ولا اغشى للناس منه .

وقيل : بل أتاه اخوه عبدالملك ، وكره أن يُخبره بقتل يزيد فيستقتل ، فقال له : « إنّ الأمير قد انحدر إلى (واسط) ، فانحدر المفضّل بمن بقى معه من ولد المهلب إلى (واسط) ، فلما علم بقتل يزيد حلف انه لا يكلّم عبدالملك ابدا ، فما كلمّه حتى قتل ب (قَنْدَابِيْل)(٨٠) . وكانت عينه قد اُصيبت في الحرب ،فقال : « فضحني عبدالملك ! ما عذري إذا رآني الناس فقالوا : شيخ أعور مهزوم ! الا صَدَقني فَقَتَلْتُ ؟ » ، ثم قال :

« ولا خير في طعن الصناديد بالقنا
ولا في لقاء الحرب بعد يزيد »

فلما فارق المفضّل المعركة ، جاء عسكر الشّام إلى عسكر يزيد ، واسر مسلمة والعباس نحو ثلاثمائة أسير، فسّرحهم مسلمة إلى (الكوفة) ، فحبسوا بها . وجاء كتاب يزيد بن عبدالملك إلى محمد بن عمرو بن الوليد بن عُقْبَة والي (الكوفة) يأمره بضرب أعناق الأسرى ، فبدأ محمد بالتنفيذ وقتل قسماً من الأسرى ، فجاءه رسول بكتاب من عند مسلمة بن عبدالملك يأمره بالتوقّف عن قتل الأسرى ، ثم أقبل مسلمة حتى نزل (الحِيرَة) .

ولما اتت هزيمة يزيد بن المهلّب إلى (واسط) ، غادرها آل المهلّب إلى (البصرة) ، ومن هناك حملوا عيالاتهم وأموالهم في السُفن البحريّة ، ثم لجوا في البحر ، فلما كانوا بجبال (كَرْمان)(٨١) ، خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم واموالهم على الدّواب ، وكان المقدّم عليهم المفضّل بن المهلب .

وكان ب (كَرْمان) فلول كثيرة اجتمعوا إلى المفضّل ، فبعث مسلمة قوّات من أصحابه ، فقاتلوا فلول المفضّل وانتصروا عليهم وكبدوهم خسائر فادحة بالأموال والأرواح .

---

(٨٠) قندابيل : مدينة بالسند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٧/٧) .

(٨١) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ، ذات قرى وبلاد واسعة في ايران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٧) والمسالك والممالك للاصطخري (٩٧-١٠٠) .

ومضى آل المهلّب ومَن بقي معهم إلى (قَنْدابِيْل) ، فطاردهم أصحاب مسلمة بن عبدالملك الى هناك ، فتفرّق الناس عن آل المهلّب، ولكن آل المهلب تقدموا بأسيافهم فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم ، منهم : المفضّل ، وعبدالملك ، وزياد ، ومروان بنو المهلب ، وثلاثة من أبنائهم ، فبعث مسلمة برءوسهم إلى يزيد بن عبدالملك .

وحين بلغ يزيد بن عبدالملك مقتل يزيد بن المهلب وكثير من إخوته وابنائهم من آل المهلّب ، سره هذا النصر سرورا عظيما(٨٢) .

ولما فرغ مسلمة بن عبدالملك من حرب يزيد ابن المهلّب ، جمع له أخوه يزيد بن عبدالملك ولاية (الكوفة) و (البصرة) و (خراسان) ، وذلك سنة اثنتين ومئة الهجرية .(٨٣)

أما العبّاس فقد عاد من العراق أدراجه إلى (حَلَب) ، فقد ورد أنّ مسلمة بن عبدالملك بعث برءوس قتلى آل المهلّب إلى يزيد بن عبدالملك في الشام ،فسيّرهم يزيدإلى العباس في(حَلَب)(٨٤)، ويبدو انه كان على (حلب) قبل الاقتتال مع يزيد ابن المهلّب ، فعاد إليها بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، ولكن المؤرخين لم ينصوا على ذلك فيما سجلوه في كتبهم التاريخية المتيسّرة ، بل ذكروا أن يزيد بن عبدالملك جهّز أخاه مسلمة بن عبدالملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبدالملك في سبعين ألف مقاتل من اهل (الشام) و (الجزيرة) كما ذكرنا ، ومن المعلوم انّ (حلب) من (الجزيرة) حسب التقسيمات الادارية والجغرافية القديمة، وهذا يدل على أنّ مسلمة كان على اهل (الشّام) والعباس كان على اهل (الجزيرة) في الجيش الزاحف إلى العراق للقضاء على ثورة يزيد بن المهلّب ، ويفسّر لنا لماذا كانت لمسلمة ميمنته وميسرته وكانت للعباس ميمنته وميسرته أيضاً ، في معركة (العَقْر) التي قتل فيها يزيد ابن المهلّب، بالرغم من أنّ مسلمة كان على الجيش كله قائداً عاماً كما أسلفنا .

د . لقد انتصر مسلمة والعباس في معركة (العَقْر) الحاسمة ، فقضيا قضاء مبرماً على ثورة يزيد ابن المهلّب ، وبذلك خدما الدولة الأموية خدمة عظيمة ،لأنّ ابن المهلب خلع يزيد بن عبدالملك وقاد اخطر ثورة هدّدت كيان الامويين .

ومن الانصاف أن نذكر انّ يزيد بن المهلّب وكثيراً من إخوته وابنائه وابنائهم ، كانوا قادة افذاذاً وإداريين حازمين وأبطالا مقاتلين ، فخسرت الدولة الأموية بالقضاء عليهم خيرة قادتها وأقدر ولاتها وأشجع رجالها .

وقد ترك يزيد بن المهلّب وآل بيته أثراً عظيماً في الناس أحياء وأمواتا .

وبالرغم من نقمة يزيد بن عبدالملك واهله على آل المهلّب وحقدهم عليهم ، إلاّ انهم وجدوا من يصونهم بعد قتلهم ، حتى من بنى أميّة أنفسهم ، فقد منع مسلمة قتل أسراهم خلافاً لامر يزيد بن عبدالملك(٨٥) ، كما وجدوا حتى من بني أميّة من يبيعهم لأنه أقسم أن يفعل ذلك ، ولكنه يبيعهم لمن يطلق سراحهم ثم لا يتقاضى أثمانهم(٨٦) ، لينفّذ قسمَهُ (شكلاً) ولا (واقعا) .

كما وجدوا من يستشفع لهم بعد نكبتهم ، فقد قَدِمَ على يزيد بن عبدالملك بالأسرى من بني المهلّب وعنده كُثيّر عَزّة فانشد :

حليمٌ إذا ما نال عاقب مُجْمِلاً
أشدّ العقاب أوعفا لم يثرب(٨٧)
فعفواً أميرَ المؤمنين وحِسبةً(٨٨)
فما تأتِه من صالح لك يُكْتَبِ
أساءوا فأن تصفحْ فأنك قادر
وأفضلُ حلمٍ حِسبةٍ حلمُ مُغْضَبِ(٨٩)

(٨٢) انظر التفاصيل في الطبري (٥٩٠/٦–٦٠٤) وابن الأثير (٧٧/٥–٨٩) وابن خلدون (١٦٦/٣–١٧٢) ، وانظر مروج الذهب (١٩٩/٣–٢٠٠) وتاريخ الموصل (١٠–١٦) والمعارف (٤٠٠) والعيون والحدائق (٦٨–٧٠) وجمهرة انساب العرب (٨٩) ، وفي معجم الشعراء (٢٦٤) أن العباس كان على مقدمة مسلمة يوم العقر .

(٨٣) الطبري (٦٠٤/٦) وابن الأثير (٨٩/٥) ، وانظر المعارف (٥٧١) وفيه : أن مسلمة كان من أول من جمع له المصران : الكوفة والبصرة ، وانظر التنبيه والاشراف (٢٧٧–٢٧٨) .

(٨٤) الطبري (٦٠٢/٦) وابن الأثير (٨٦/٥) وابن خلدون (١٧٢/٣) .

(٨٥) الطبري (٥٩٩/٦) وابن الأثير (٨٤/٥) .

(٨٦) الطبري (٦٥٢/٦) .

(٨٧) الرب : افسد وخلط . وثرب فلانا ، وعليه : لامه وعيّره بذنبه . وفي التنزيل العزيز : (لا تثريب عليكم اليوم) . ويقال : ثرّب عليهم ، وثرّب عليهم فعلهم : قبحه .

(٨٨) فعله حِسبَةً : مدخراً اجره على الله .

(٨٩) ابن الأثير (٨٧/٥) .

وهذا موقف جريء جداً بالنسبة للشاعر ، إذ ليس من السّهل أن يستشفع المرء لأسرى اخذوا في ساحة الوغى وهم يقاتلون ، ومن أسرة خلعت الخليفة وهدّدت دولته بالزوال .

بل وجدوا مَن يرثيهم أحرّ رثاء واصدقه ، بعد زوال ملكهم وزوالهم ، فقد رثى ثابت بن قَطنه(٩٠) حين بلغه مقتل يزيد بن المهلّب ، فقال:

الا يا هند طال عليَّ ليلي
وعاد قصيره ليلاً تماما
كأنّي حين حلقت الثريّا
سُقيتُ لعابَ أسودَ أوسَماما
أمَرّ عليَّ حلوَ العيش يوم
من الأيام شيّبني غلاما
مصابُ بني أبيكِ وغيبتُ عنهم
فلم أشهدهمُ ومضوا كراما
فلا والله لا أنسى يزيداً
ولا القتلى التي قتلت حراما

مع قصيدة طويلة(٩١) .

وقال أيضاً يرثى يزيد بن المهلّب :

أبى طولُ هذا الليل أن يتصرّما
وهاج لكَ الهمُّ الفؤاد المتيّما
أرقتُ ولم تأرق معي أم خالدٍ
وقد أرقت عيناي حولاً مُجرَّما
على هالكٍ هدَّ العشيرةَ فَقْدُهُ
دعته المنايا فاستجاب وسلّما
على مَلِكٍ بالعَقْرِ ياصاحِ جُبّنَت
تسليت إن لم يجمع الحي مأتما
وفي غيّرِ الأيام يا هندُ فاعلمي
لطالب وِترٍ نظرةٌ إن تلوّما
فَعَليَّ إن مالت بي الريحُ ميلةً
على ابن أبي ذبّانٍ أن يتندّما
أمسلمُ إن تقدر عليك رماحنا
نذِقكَ بهاقيء الأساود مُسلما

وإن نلق للعباس في الدهر عثرةً
نكافئهُ باليوم الذى كان قدّما
قصاصاً ولا نعدو الذى كان قداتى
إلينا وإن كان ابن مروان أظلما
ستعلمُ إن زلّت بك النّعل زلةً
واظهر أقوامٌ حياء مجمْجَما
مَن الظالم الجانى على أهل بيته
إذا حُضِرت أسباب أمرٍ وابهَما
وإنّا لعطافون بالحلم بعد ما
نرى الجهلَ من فرطِ اللئيم تكرّما
وإنا لحلاّلون بالثّغر لا نرى
به ساكناً إلاّ الخميسَ العرَمرَما
نرى أنّ للجيران حقاً وذمةً
إذا الناس لم يرعوا لذى الجار مَحرَما(٩٢)

وليس من المعقول أن يرثى الشاعر بهذه القصيدة يزيداً ، وفيها من وعيد وتحدٍ لسلطة مسيطرة قائمة ، ويعلنها للناس بالرغم من خطر إعلانها على نفسه وروحه ، إلاّ إذا كان ليزيد عليه فضل عظيم يستعرض الشاعر فيها روحه وفاء واعترافاً بالجميل .

ولهذا الشاعر مرثيات كثيرة في يزيد بن المهلّب ، ولغيره من الشعراء مرثيات اخرى كثيرة فيه وفي أهل بيته ، ومن المستحيل ان يقال هذا الشعر المهموس الصادر عن القلب ، القريب من النّفس ، البعيد عن النفاق والتزلف ، إلاّ في رجال يملاؤن الأعين قدراً وجلالا ، وفضلاً وكرما ، وبطولة وإقداما .

اما في حياة آل المهلّب ، فقد اكثر الشعراء من مدحهم ، ولعلّ في هذين المثلين ما يكفى لاثبات سمة الصدق في المديح .

قال شاعر في يزيد وآل المهلّب :

نزلتُ على آل المهلّب شاتياً
غريباً عن الأوطان في زمن المَحل
فما زال بى إحسانهم وافتقادهم
وبرُّهمُ حتى حسبتهمُ أهلي(٩٣)

---

(٩٠) هو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي ، اصيبت عينه بخراسان ، فجعل عليها قطنة ، فعرف بذلك ، انظر التفاصيل في كتاب : الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٢٦/٢) .

(٩١) الطبري (٦٠٣/٦) .

(٩٢) ابن الاثير (٨٨/٥) مع تصحيح قليل عن الطبري (٦/ ٦٥٣) وفيه تتمة القصيدة .

(٩٣) مختصر تاريخ البشر لأبي الفدا (٢٠١/١-٢٠٢) .

وقال الفرزدق في آل المهلّب :

إن المهالبة الكرام تحمّلوا
دفعَ المكاره عن ذوى المكروه
زانوا قديمهم بحسنِ حديثهم
وكريم أخلاق بحسن وجوه(٩٤)

ولابدّ لى من ذكر مثلٍ واحد من أمثلة بطولة يزيد بن المهلّب وشجاعته الخارقة وبطولته الفذّة، فهو مثل يحتذى به حقا .

عند انكشاف الناس عن يزيد وهروبهم في معركة (العَقْر) ، جاءه أبو رؤبة المرجىء فقال : « ذهب النّاس ... هل لك أن تنصرف إلى (واسط) ، فانها حصن ، فتنزلها ويأتيك مَدَدُ أهل (البصرة) ويأتيك أهل (عُمان) و (البحرين) في السُّفن ، وتضرب خندقا ؟ » . فقال يزيد : « قبّح الله رأيك ! إليّ تقول هذا ! الموت أيسر عليّ من ذلك » . فقال أبو رؤبة : « فأني أتخوّف عليك لِمَا ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديدِ ! » ، فقال : « امّا أنا فما اباليها ، جبال حديد كانت أم جبال نار . اذهب عنّا إن كنت لاتريد قتالا معنا ، ثم تمثّل قول الأعشى :

أبالموت خَشّتنى عِبادٌ وإنما
رأيت مَنَاياالناسِ يشقى ذليلُها
فما مِيتَةٌ إن مُتُّها غير عاجزٍ
بعجزٍ إذا ما غالتِ النفسَ غولُها(٩٥)

ثم استقتل حتى قُتل مُقبلاً غير مدبر .

حتى غلمان آل المهلّب كانوا أبطالاً لا يهابون الموت ، فقد قدّم يزيد بن عبدالملك ثلاثة عشر رجلاً من آل المهلّب للقتل ، فقتلوا وبقى منهم غلام صغير ، فقال الغلام المهلبى : « اقتلونى ، فما انا بصغير » ، فقال يزيد : « انظروا انبت ! » ، فقال: « انا اعلم بنفسى ، قد احتلمت ووطئت النساء »، فأمر به يزيد ، فقتل !(٩٦)

لقد كانت (الهزيمة) لآل المهلّب مأساة مروّعة ، وأدىّ الأقتتال الذى نشب بين الاخوة إلى توقف الفتح وانتقاض قسم منالبلاد المفتوحة، واهتزاز الثقة بالدولة ، كما أدى إلى عداء عميق الجذور بين القبائلَ العربية في العراق وممالك الخلافة الأخرى في المشرق .

كما انتهز هذه الفرصة السّانحة دعاة العباسيين ، فاستشرى خطرهم وأصبحت دعوتهم مكشوفة في (خُراسان) .

لذلك كان انتصار مسلمة والعباس على آل المهلّب في هذا الاقتتال انتصاراً تعبوياً ، ولكنه كان هزيمة سَوْقِيّة .

ولا قيمة للانتصار التعبوى بالنسبة للهزيمة السَّوْقِيّة كما هو معروف .

هـ . فما هى أسباب انتصار مَسْلَمة بن عبدالملك والعبّاس بن الوليد بن عبدالملك على يزيد ابن المهلب وآل المهلب .

لم تكن ثورة ابن المهلّب ثورة (مبدئيَة) بل ثورة (شخصية) ، أي أنّ هذه الثورة لم تكن من اجل مبدأ او مبادىء ولو انها تظاهرت بتبنىّ الأسلام الصحيح والدفاع عن تعاليمه ومقاومة الانحراف عن مبادئه ، ولكنها لم تستطع أن تقنع أحداً من الناس بصدق ادعائها ، لانّ القائمين عليها معروفون جداً ، وهم لا يختلفون عن بنى أميّة من هذه الناحية بشىء .

لقد كان السبب المباشر لثورة يزيد بن المهلّب خوفه من القتل ،أما السبب غير المباشر فهو طموحه الشخصى في الحكم لينتفع ورجاله بما تغدقه السلطة من نفوذ وسمعة وثراء على الحاكمين .

فقد مكث في سجن (حلب) من سنة مئة الهجرية(٩٧) (٧١٨م) حتى مرض عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مرضه الذى مات به سنة إحدى ومئة الهجرية(٩٨) (٧١٩م) ، أى أنه بقى في السّجن نحو سنتين ، لم يفكر في الهرب ــ وكان بأمكانه أن يفعل ــ إلاّ بعد أن علم أنه لا أمل في بقاء عمر بن عبدالعزيز على قيد الحياة ، وأنّ الخليفة من بعده يزيد بن عبدالملك سينتقم منه بأزهاق روحه والقضاء على حياته .

ولم يكتم يزيد بن المهلّب سرّ هربه ، بل كشف عن هذا السّر بصراحة في رسالته التى بعث بها إلى عمر بن عبدالعزيز وهو على فراش الموت ، فقال في رسالته : « إني والله لو وثقتُ بحياتك لم

(٩٤) النجوم الزاهرة (٢٦٩/١) .
(٩٥) الطبري (٥٩٦/٦ـ٥٩٧) .
(٩٦) ابن الأثير (٨٧/٥) .
(٩٧) الطبري (٥٥٦/٦) وابن الاثير (٤٨/٥) .
(٩٨) الطبري (٥٦٥/٦) وابن الأثير (٥٨/٥) .

أخرج من محبسك ، ولكني خفتُ أن يلي يزيد ــ يريد يزيد بن عبدالملك ــ فيقتلني شرَّ قتلة » .(٩٩)

وسبب العداوة بين يزيد بن المهلّب ويزيد بن عبدالملك ، أنّ ابن المهلّب عذّب أصهار ابن عبدالملك من آل أبي عَقِيل ، وكانت أم الحجّاج بنت محمد بن يوسف ، وهي ابنة أخي الحجّاج بن يوسف الثقفي زوجة يزيد بن عبدالملك ، وقد جرى هذا التعذيب في أيام سليمان بن عبدالملك . وكان فيمن أتى به أم الحجّاج زوجة يزيد بن عبدالملك ، وقيل : أختها ، فعذّبها يزيد بن المهلّب ليستخرج ما لديها من أموال للدولة ، فأتى يزيد بن عبدالملك إلى ابن المهلّب في منزله ، فشفع فيها ، فلم يشفعه ، فقال : « الذي قرّرتم عليها ، أنا أحمله » ، فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلّب : « أما والله لئن وليتُ من الأمر شيئًا ، لأقطعنّ منك عضواً ! » فقال ابن المهلّب : « وأنا والله لئن كان ذلك ، لأرمينك بمئة الف سيف ! » .(١٠٠)

وفي رواية أخرى ، أن سبب العداوة بين ابن عبدالملك وابن المهلّب ، أنّ ابن المهلب خرج من الحمّام أيام سليمان بن عبدالملك ، وقد تضمخ بالغالية(١٠١) ، فاجتاز بيزيد بن عبدالملك وهو إلى جانب عمر بن عبدالعزيز ، فقال : « قبّح الله الدنيا ، لودِدت أنّ مثقال غالية بألف دينار ، فلا ينالها إلاّ كل شريف » ، فسمع ابن المهلّب فقال : « بل وددت أنّ الغالية في جبهة الأسد ، فلا ينالها إلاّ مثلي » ، فقال يزيد بن عبدالملك : « والله لئن وليتُ يوماً لأقتلنّك » ، فقال ابن المهلب : « والله لئن وليتَ هذا الأمر وأنا حيّ ، لأضربن وجهك بخمسين الف سيف » .(١٠٢)

ومهما يكن من أمر صحة هاتين الروايتين عن سبب العداوة بين اليَزيْدين : ابن عبدالملك وابن المهلّب ، فيصدقهما مَن يشاء ويكذبهما من يشاء ، فالمعروف أنّ يزيد بن عبدالملك كان يكره ابن المهلّب وآل بيته الذين كانوا موضع ثقة أخيه سليمان بن عبدالملك من قبله ، كما كان الحجّاج بن يوسف موضع ثقة عبدالملك بن مروان ومن بعده الوليد بن عبدالملك ، بينما كان سليمان ابن عبدالملك يكره الحجّاج وآل بيته(١٠٣) ، لأن الوليد اراد أن يخلع سليمان ويبايع لولده ، فأبى سليمان ، فكتب الوليد إلى عمّاله ودعا الناس إلى ذلك ، فلم يُجِبْهُ إلاّ الحجّاج وقُتَيْبَة ابن مُسْلِم البَاهِلِيّ وخواص من الناس(١٠٤) ، وقد جَرّدَ سليمان أموال الحجاج بن يوسف الثقفي وآل بيته وأوكل الى يزيد بن المهلّب وصادر الفائض منها(١٠٥) ، وكان يزيد بن عبد الملك زوج ابنة محمد بن يوسف الثقفي أخ الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فهو لا ينسى ليزيد ابن المهلّب شدّته على أصهاره في عهد سليمان ابن عبدالملك ، لذلك آثر يزيد أن ينجو بنفسه خوفاً من نقمة يزيد بن عبدالملك وانتقامه ، فهرب من سجنه وخلع يزيد بن عبدالملك وأعلن الثورة في العراق .

وحاول ابن المهلب ان يسبغ على ثورته صفة الشرعيّة ، ليستقطب حوله أهل العقيدة الراسخة والمثُل العليا الذين يضحّون بأرواحهم من أجل عقيدتهم ومثُلهم العليا ، لأنه يعلم علم اليقين أن أمثال هؤلاء هم الذين يتحملون اعباء الحرب ويصبرون على اهوالها ويصابرون وهم الذين يقودون الى النصر ويحرزونه ، أما المرتزقة فلا يقودون إلاّ إلى الهزيمة والعار . لذلك تظاهر ابن المهلّب بأنه ثار ليعيد للمسلمين سيرة العُمَرَين : أبى بكر الصديق وعمر بن الخطّاب رضى الله عنهما .

وكان نص بيعة ابن المهلّب : « تبايعون على كتاب الله وسُنّة نبيّه صلىّ الله عليه وسلّم ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا ، ولا يُعاد علينا سيرة الفاسق الحجّاج ، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومَن أبى جاهدناه ، ثم

(٩٩) ابن الاثير (٥٨/٥) وانظر الطبري (٥٦٤/٦) ، وكان يزيد بن عبدالملك وليا للعهد يتولى الخلافة بعد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .

(١٠٠) ابن الاثير (٥٧/٥) .

(١٠١) الغالية : من الطيب ، اول من سماها بذلك سليمان ابن عبدالملك ، تقول : تغلى بالغالية ، انظر مختار الصحاح ــ ط ٧ (٤٨٠) . والغالية : طيب معروف ، وهو أخلاط من مسك وعنبر وبان تغلى على النار ، انظر معجم متن اللغة (٣٢١/٤) . والغالية : ضرب من الطيب ، وهي مسك وعنبر يعجنان بالبان ، انظر الافصاح في فقه اللغة (٣٥٦/١) . والغالية : اخلاط من الطيب كالمسك والعنبر ، انظر المعجم الوسيط (٦٦٠/١) .

(١٠٢) ابن الاثير (٨٧/٥) .

(١٠٣) الطبري (٤٩٧/٦) وابن الاثير (١٠/٥) .

(١٠٤) ابن الاثير (١٠/٥) .

(١٠٥) ابن الاثير (٥٧/٥) .

جعلنا الله بيننا وبينه » ، ثم يقول : « تبايعوننا؟ » فأذا قالوا : نعم ، بايعهم(١٠٦) !

ولما سيطر يزيد بن المهلّب على (البصرة) ، خطب الناس ، فذكر انه يدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، ويحثّ على الجهاد ، وأنّ جهاد أهل الشّام اعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم !!(١٠٧) .

وكان حينذاك في (البصرة) علماء عاملون مخلصون محافظون على كرامة العلماء يقولون الحق ولا يخشون في الله لومة لائم ،منهم الحسن البصريّ رضى الله عنه ، فلما سمع خطاب ابن المهلّب الذى ألقاه فيالحشد الحاشد من الناس، دنا من منبر ابن المهلّب الذى يلقى من فوقه خطابه بين أنصاره ومؤيديه ، فرفع الحسن البصريّ صوته قائلاً : « والله لقد رأيناك والياً ومولىّ عليك ، فما ينبغى لك ذلك » ، فسمع ابن المهلّب ردَ الحسن البصرى ، ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته .(١٠٨)

ولم يكن ابن المهلّب ليسكت عن الحسن البصرى ،لو لم يكن يعرف قوته في الحق وشّدة صلابته في اظهاره ، وأنّ قوته بالحق اعظم من قوّة السلطان بالباطل ، فما كان الحسن يريد شيئاً لنفسه ، ولكنه كان يريد كل شيء للمسلمين .

وما كان ابن المهلّب ليسكت لو انه على حق فيما يدعيه ، ولكنه كان يُعلن مالا يُخفى ؛ ودعوته للدين مَظهر لا مخبَر .

وخرج الحسن البصرى من المسجد الذى كان ابن المهلّب يخطب فيه ، فمرّ على أنصار ابن المهلب وهميتظرون خروجه، وقداصطفوا صفّين ونصبوا الرايات والرماح ، وهم يقولون : يدعونا يزيد إلى سُنّة العُمَرَيْن ! فقال الحسن : « إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرِّح بها إلى بنى مروان ، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم ! فلما غضب غضبة ، نصَب قَصَباً ، ثم وضع عليها خِرَاقاً، ثم قال: اني قد خالفتهم فخالفوهم ! قال هؤلاء نعم . وقال: إنى أدعوكم إلى سُنّة العُمَرَيْن، وإنّ من سُنّة العُمَرَيْن أن يوضع قيد في رجله ، ثم يردّ إلى محبس عمر – يقصد عمر بن عبدالعزيز – الذى فيه حَبَسَه » فسأله أحد اصحابه ممن سمع قوله : « والله لكأنك يا أبا سعيد راضٍ عن اهل الشّام ؟! » ، فكان جوابه : انه غير راضٍ عنهم »(١٠٩) ؛ مما يدلّ على انّ الحسن البصري كان يصدح بالحق ، غير ملتزم بأحد من الحكام .

وكما لم يستطع ابن المهلّب بادعائه انّ ثورته ثورة مبدئية ان يقنع قادة الفكر ، أخفق باقناع قادة الرجال أيضاً ، فقد هرب رءوس أهل (البصرة) من تميم وقَيْس ومالك بن المُنْذر ولحقوا بالكوفة التى كانت لا تزال مع مع الأمويين كما لحق بعضهم بالشّام(١١٠) .

لقد صوّر الحسن البصرى ثورة ابن المهلّب احسن تصوير ، فذكر انها للدنيا الزائلة فقال : « أيها الناس ! الزموا رحالكم وكفّوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ... » ، ثم وصف ثورة ابن المهلب بأنها فتنة من الفتن التى ينبغى الابتعاد عن المشاركة فيها .(١١١)

لقد التف حول ابن المهلّب رجال لايعرفهم أحد(١١٢) ، يتبعون كلّ مَن يقدِّم لهم المال ، بل يتبعون مَن يقدِّم لهم مالاً أكثر مما يقدمه لهم غيرُه ، وفي الوقت الذى كان يقدِّم عامل بنى أمية على (البصرة) درهمين لكل رجل ينضوى تحت لوائه ، كان يزيد بن المهلّب يعطى مَن أتاه قطعَ الذهب والفضة ، فمال الناس إليه .(١١٣)

ولكن أى نوع من الناس مالوا إليه ؟ لقد مال إليه المرتزقة الذين يهتَمون بجيوبهم ولا يهتمون بقلوبهم ، أى أنّ الذين مالوا إليه من أهل (الطمع) المادى لاأهل (العقيدة) الراسخة الذين لايمكن شراء ضمائرهم بالمال وكل متاع الدنيا ، وأهل (الطمع) لايقاتلون ولا يضحون، لأنّ الروح اغلى من كل مال وكل متاع ، وأهل (العقيدة) يستقتلون ويضحّون ، لأنّ (العقيدة) أغلى من المال والمتاع ، ولئن انتصر أهل (الطمع) ساعة ، فلن ينتصروا إلى قيام السّاعة .

وعلى الرغم من أنّ تعداد الذين التفوا

(١٠٦) الطبري (٦/٥٩٢) .
(١٠٧) الطبري (٦/٥٨٧) وابن الاثير (٥/٧٥) .
(١٠٨) الطبري (٦/٥٨٧) وابن الاثير (٥/٧٥) .

(١٠٩) الطبري (٦/٥٨٧–٥٨٨) وابن الاثير (٥/٧٥–٧٦) .
(١١٠) الطبري (٦/٥٨٣) وابن الاثير (٥/٧٣) .
(١١١) الطبري (٦/٥٩٤) .
(١١٢) الطبري (٦/٥٨٧) .
(١١٣) الطبري (٦/٥٨٠–٥٨١) وابن الاثير (٥/٧٢) .

حول ابن المهلب مئة وعشرون ألف مقاتل – كما ذكرنا – وهو جيش ضخم بالنسبة لتلك الأيام، إلاّ انّ ضَبْطهم كان قليلاً ، فهم يعارضونه في كل رأى يبديه(١١٤) ،ولا ينفّذون أوامره لغرض التملص من الاقتتال ، كما كان ابن المهلّب لا يسمع رأي أصحاب الرأي حتى ولو كانوا من آل بيته والمقربين إليه ،(١١٥) وهذا يدل على انّ الثقة لم تكن متبادلة بين القائد ورجاله ، وعدم تبادل الثّقة بين الطرفين أول الفشل ويؤدى إلى الهزيمة .

ولم يكن أمر تفسّخ جيش ابن المهلب خافياً عليه ، فقد كان بين الخاصة من آل بيته وأصحابه قبل نشوب القتال ، فتساءل قائلاً : « ترون في هذا العسكر الف سيف يُضرب به ؟! » فأجابه احد رجاله : « أيْ والله ، وأربعة آلاف سيف »، فقال : « إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد احصي ديواني مئة وعشرين ألفاً ، والله لوَدِدْتُ أنّ مكانهم السّاعة معي مَن بـ (خُراسان) من قومي(١١٦) » ، وكان ابن المهلّب يقصد ، بأنه لا يقاتل ألف رجل من بين جيشه اللّجب كما يقاتل الرجال !!

وصدق ما توقّعه ابن المهلّب ، إذ انهزم جيشه بعد الصدمة الأولى من غير قتال(١١٧) ، لأنّ هذا الجيش ليست لديه (قضّية) يدافع عنها ويضحى من أجلها ، ولا (مصلحة) حقيقية له في الاقتتال .

اذاً لقد تورط يزيد بن المهلّب في معركة خاسرة ، ولكنه قاتل عن شرفه وأحسابه ، ولم يرض لنفسه الفرار والاستسلام .

ولم يكن ابن المهلّب وحده يقود جيشاً من المرتزقة ، فقد كان أكثر جيش مسلمة بن عبدالملك والعبّاس من المرتزقة أيضاً ، ومن الواضح أن كلا الجيشين لا يخلوان من مقاتلين لهم مصلحة في الاقتتال ، ولكن أكثر الجيشين يغلب عليهما الارتزاق .

إلاّ أنّ جيش الأمويين كان جيش دولة ، فهو اكثر ضبطاً ونظاماً وأضمن مصلحة ومستقبلاً، كما كان جيشاً ملتزماً لارتكازه على حكم قائم وسلطة شرعية ، لذلك كان هذا الجيش يتحلّى بإرادة القتال فانتصر ،بينما كان جيش ابن المهلّب لا يتحلى بهذه المزية فاندحر .

ولكن الانتصار والاندحار في الاقتتال بين طائفتين من طوائف الدولة سّيان ، والمستفيد الوحيد من مثل هذا الاقتتال هو العدو المشترك لتلك الدولة .

ولعلّ هذا الدرس يفيد من يقرأ تاريخ هذه الحقبة من أيام العرب والمسلمين .

الانسان

بعد قضاء الأيام الأولى للعبّاس من عمره في التعليم والتدريب ، بدأ يعطى ثمراته للدولة والناس ، وكانت أول هذه الثمرات توليه قيادة جيش يقاتل الروم في الجبهة الشمالية الغربية للدولة سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٧م) .

وتوالت غزواته ومعاركه بعد ذلك ، كما فصّلناه في الحديث عن جهاده .

ولكنّ نشاطه لم يقتصر على الناحية العسكرية من أعمال الدولة ، بل شمل الناحية الأداريّة من أعمالها أيضا .

فقد كان يسكن (حِمْص) ، فاستعمله أبوه عليها(١١٨) ، وكان عليها سنة ست وتسعين الهجريّة (٧١٤م) وهي سنة وفاة والده الوليد ابن عبدالملك(١١٩) ، ولكننا لا ندرى تاريخ تسنمه هذه الولاية لأنّ أحداً من المؤرخين لم يتطرّق إليه ، ومن المحتمل انه تولاها في هذه السّنة، لأنه كان في السنوات التى سبقتها مشغولاً في ميدان قتال الرّوم ، كما مرّ بنا في ذكر غزواته، ومن المحتمل انه بقي في منصبه هذا حتى سنة احدى ومئة الهجرية (٧١٩م) ، حيث سيّره عمه يزيد بن عبدالملك مع عمه مَسْلَمَة بن عبدالملك في هذه السنة لقتال يزيد بن المهلّب في العراق ، وكان العباس في هذه الحرب قائداً لجيش جزيرة ابن عمر كما ذكرناه سابقاً .

ولما انتهى الاقتتال في العراق بين الأمويين من جهة وابن المهلّب من جهة أخرى ، لم يعد العباس إلى ولايته في (حمص) ، بل عاد والياً على (حلب)، ولا نصّ على ولايته هذه في المصادر التاريخية المتيسّرة ، غير النص الذى ورد فيه : أنّ يزيد بن

(١١٤) الطبري (٥٨٣/٦) وابن الاثير (٨٠/٥) .
(١١٥) الطبري (٥٨٨/٦) وابن الاثير (٧٧/٥–٧٨) .
(١١٦) الطبري (٥٩٦/٦) .
(١١٧) الطبري (٥٩٥/٦) وابن الاثير (٨٢/٥) .
(١١٨) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .
(١١٩) تاريخ ابن خياط (٣١٦/١) .

عبدالملك بعث برءوس قتلى آل المهلّب إلى العباس في (حلب)(١٢٠) ، ومعنى ذلك انه تولى هذه المدينة ، وكان ذلك سنة اثنتين ومئة الهجرية (٧٢٠م) ، ومن المحتمل أنه بقي على (حلب) سنة وبعض السنة ، لأنه غزا الروم سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١م) ، كما مرّ في تَعداد غزواته .

وقد صار العبّاس إلى (مَرْعَشْ)(١٢١) فعمرّها وحَصّنَها ، ونقل الناس إليها ، وبنى لها مسجداً جامعاً ، وكان يقطع في كل عام على اهل (قِنَّسْرين) بعثاً إليها(١٢٢) . وقد مرّت (مرعش) بأحداث كثيرة أدّت إلى خرابها(١٢٣) . ومن الواضح أن هدف تعمير (مرعش) وتحصينها ، هو لتصبح قاعدة متقدمة للمسلمين يرتكزون عليها في غزواتهم للروم ، لذلك حرص العباس على تحصينها لتقوى على الدفاع عنها في حالة مهاجمتها من الرّوم ، كما اسكنها المسلمين ليدافعوا عنها عند الحاجة، ولكننا لاندرى متى عمّرها وحصّنها واسكنها المسلمين ، ومن المحتمل أنه فعل ذلك في أيام ولايته على (حلب) ، لأن (مرعش) تقع في منطقة (حلب) وتابعة لسيطرتها في تلك الأيام ، وتعتبر من بلاد الشّام .

٢ . والذى يبدو من سيرة العبّاس انه كان يتمتع بمزيد سبق النظر ، وهى مزية لها قيمتها في الرجال قادةً وإداريين .

فلما وجه يزيد بن عبدالملك الجيوش إلى يزيد بن المهلّب ، واستعمل عليها مَسْلمة بن عبد الملك والعباس ، قالا له : « يا أمير المؤمنين ! إنّ أهل العراق اهل غدر وإرجاف ، وقد توجّهنا محاربين ، والحوادث تحدث ، ولا نأمن أن يرجف اهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ، فيفتّ ذلك في أعضادنا ، فلو عهدتَ عهد عبدالعزيز بن الوليد(١٢٤) ، لكان رأياً صوابا » . ولكنّ مسلمة ابن عبدالملك بعد إمعان الفكر ، قال ليزيد بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين ! أيهما احبّ إليك : أخوك أم ابن اخيك ؟ » ، فقال : « بل أخى » ، فقال : « فأخوك أحق بالخلافة » ، فقال يزيد : « إن لم يكن في ولدى ، فاخى أحق بها من ابن اخى كما ذكرتَ » ، فقال : « فابنك لم يبلغ ، فبايع لهشام ابن عبدالملك ،ثمّ بعده لابنك الوليد» ، وكان الوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، فبايع بولاية العهد لهشام بن عبدالملك اخيه ، وبعده لابنه الوليد بن يزيد . ثم عاش يزيد حتى بلغ ابنُه الوليد ، فكان حين يراه يقول : « الله بيني وبين مَنْ جعل هشاماً بيني وبينك(١٢٥) » .

ولم يكن ليزيد بن عبدالملك وليٌ للعهد يخلفه إذا قضى يزيد نحبه ، فكان هنالك احتمال كبير لأرجاف المرجفين بموت يزيد في ظروف الحرب العصيبة دون أن يكون له ولى عهد يخلفه ويسيطر على الأمور ، مما يؤدى إلى الفوضى والضياع . لذلك اقترح مسلمة بن عبدالملك والعبّاس على يزيد بن عبدالملك أن يعهد بولاية العهد ، فنجحا فيما أرادا ، وقطعا الطريق على المرجفين .

٣ . وتوفى يزيد بن عبدالملك سنة خمس ومئة الهجرية(١٢٦) (٧٢٣م) ، فخلفه هشام بن عبدالملك بعد موته .

وتوفى هشام بن عبدالملك سنة خمس وعشرين ومئة الهجرية(١٢٧) (٧٤٢م) ، فخلفه الوليد بن يزيد بن عبدالملك .

ولم يكن الوليد محمود السّيرة ، وكان خليعاً ماجنا(١٢٨) ، ولا شكّ في أنّ المبالفات والتزيّد كثيرة في سيرته ، لتسويغ قتله أولاً ، ولغمز حكم بنى اُميّةَ ثانياً .

وكره الناس حكم الوليد ، وكان اشدّهم كرها يزيد بن الوليد بن عبدالملك ،الذى كان لاينفك يظهر مثالبه وينتقد تصرّفاته ، وكان الناس أميل إلى قوله لأنه يظهر النسك ويتواضع(١٢٩) .

---

(١٢٠) الطبري (٦٠٢/٦) وابن الاثير (٨٦/٥ وابن خلدون (١٧٢/٣) .

(١٢١) مرعش : مدينة من الثغور بين الشام وبلاد الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥/٨) ، وهي مدينة صغيرة ، انظر تقويم البلدان (٢٦٢-٢٦٣) ، بينها وبين مدينة (الحدث) وهي من الثغور ايضا خمسة فراسخ ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك لابن خرداذبة (٢١٦) .

(١٢٢) البلاذري (٢٦٦) ، أي يقطع بعثا الى (مرعش) .

(١٢٣) انظر التفاصيل في البلاذري (٢٦٥-٢٦٦) .

(١٢٤) عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك بن مروان ، وسترد سيرته المفصلة باعتباره قائداً من قادة الفتح .

(١٢٥) ابن الاثير (٩١/٥-٩٢) وابن خلدون (١٧٤/٣) وانظر الاغاني (٢/٧) .

(١٢٦) ابن الاثير (١٢٠/٥) وابن خلدون (١٨٣/٣) والنجوم الزاهرة (٢٥٥/١) .

(١٢٧) ابن الاثير (٢٦١/٥) وابن خلدون (٢٢٠/٣) والنجوم الزاهرة (٢٩٦/١) .

(١٢٨) انظر التفاصيل في : ابن الاثير (٢٨٠/٥-٢٩١) وغيره من المصادر التاريخية المعتمدة .

(١٢٩) ابن الاثير (٢٨٠/٥-٢٨١) .

وفاتحَ قسمٌ من النّاس يزيدَ بن الوليد بن عبدالملك بالبيعة له ، فشاور أحد خلصائه بالأمر ، فقال له : « لايبايعك الناس على هذا ، وشاورْ أخاك العبّاس ، فأن بايعكَ لم يخالفك احد ، وإن ابى كان له أطوعَ » .

وكان الوباء حينذاك منتشراً بالشّام، ففادرها الناس إلى البوادى ، وكان العبّاس ب (القَسْطل)(١٣٠) ، ويزيد بالبادية أيضاً ، بينهما أميال يسيرة .

وأتى يزيد أخاه العباس واستشاره ، فنهاه عن ذلك ، ولكنه عاد وبايع الناس سّراً ، ثم بثَّ دعاته ، فدعوا الناس .

وعاود يزيد أخاه العباس واستشاره ثانية ودعاه إلى نفسه ، فَزَبَرَه(١٣١) وقال : « إنْ عدتَ لمثل هذا لأشُدّنّكَ وثاقاً واحملنّكَ إلى أمير المؤمنين » ، فخرج من عنده ، فقال العباس : « إنى لأظنّه أشأم مولود في بنى مروان » .

وبلغ الخبر مروان بن محمد بن مروان بن الحكَم الذى كان حينذاك على (إرمينيّة) ، فكتب إلى سعيد بن عبدالملك بن مروان ، يأمره أن ينهى الناس ويكفّهم ويحذرهم ويخوّفهم خروج الأمر عنهم ، فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بالكتاب إلى العبّاس ، فاستدعى العبّاسُ يزيدَ وتهدّده، ولكنه كتمه أمره ، فصدّقه العبّاس ، وقال لأخيه بِشْر بن الوليد : « إنى أظنّ أنّ الله قد اذنَ في هلاككم يابني مروان ، ثمّ تمثل :

إنىّ أُعيذكمْ باللهِ منْ فِتَنٍ
مثل الجبال تسامى ثمّ تندفعْ
إنّ البريّةَ قد ملّت سَياسَتكم
فاستمسكوا بعمودالدين وارتدعوا
لاتلحِمُن ذِئابَ النّاس انفسَكم
إنّ الذّئاب إذا ما أُلحمت رتعوا
لا تبْقَرُنّ بأيديكم بطونَكمُ
فثمّ لا حسرةٌ تغنِي ولا جَزَعُ

ولما اجتمع ليزيد أمره وهو لا يزال في البادية ، أقبل إلى (دمشق) ، وكان أكثر أهلها قد بايعوه سراً ، فحدثت مناوشات بين انصاره وأنصار الوليد ، فتغلّب أنصار يزيد على أنصار الوليد .

(١٣٠) القسطل : موضع بين حمص ودمشق ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٦/٧) .

(١٣١) زبره : منعه ونهاه . يقال : زبر السائل : انتهره وزجره .

وجهّز يزيد جيشاً وسيرهم إلى الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، وجعل عليهم عبدَالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك .

وسيّر الوليد بن يزيد أبا محمد عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبىسفيان إلى (دمشق) ،فسار بعض الطريق ثم أقام ، وبايع يزيد بن الوليد .

وسار الوليد بن يزيد على رأس جيشه حتى أتى (البَخْراء)(١٣٢) قصر النّعمان بن بشير فنازله عبدالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك .

وكتب العباس إلى الوليد بن يزيد : « إنى آتيك » ، فبلغ عبدَالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك مسير العباس إلى الوليد ، فأرسل إليه وهو في الطريق مَنْ أخذه قهراً . وأتى به عبدالعزيز فقال له : « بايعْ لأخيك يزيد ، فبايع ووقف .

ونصب عبدالعزيز راية وقال النّاس : « هذه راية العباس ، قد بايع لأمير المؤمنين يزيد » ، فقال العباس : « إنّا لله ، خَدَعَةٌ من خَدَعِ الشيطان، هلك بنو مروان » .

وتفرّق الناس عن الوليد ، وأتوا العبّاس وعبدالعزيز .

وبرز الوليد لجموع عبدالعزيز، فقاتلهم قتالاً شديداً . وتكاثروا عليه ، فدخلَ قصر النّعمان بن بشير ، وجلس يقرأ القرآن ، وقال : « يوم كيوم عثمان ! » .

وحاصروا القصر وصعدوا على الحائط، فقتلوا الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، ثم احتزوا رأسه وسيروه إلى يزيد بن الوليد بن عبدالملك، فأتاه الرأس وهو يتغدى ، فسجد لله شكرا .

وكان قتل الوليد سنة ست وعشرين ومئة الهجرية ، فاضطرب أمر بنى أميّة ولم يَنْعم يزيد ابن الوليد الذى تولى بعده بالخلافة غير ستةأشهر وليلتين ، وقيل : كانت ستّة أشهر واثنى عشر يوماً ، وقيل : خمسة أشهر واثنى عشر يوماً، وكان موته بدمشق(١٣٣) .

لقد وقف العباس هذا الموقف من الوليد بن

(١٣٢) البخراء : ماء منتنة في طرف الحجاز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٧/٢) ، وهذه ليست المقصودة ، بل البخراء القريبة من (تدمر) ، انظر تاريخ ابن خياط (٣٨٠/٢) وهي على أميال من تدمر .

(١٣٣) انظر التفاصيل في ابن الاثير (٣٠٠/٥-٣١٠) وابن خلدون (٢٢٥/٢-٢٣٣) ، وانظر تاريخ ابن خياط (٣٨٠/٢-٣٨٣) والعقد الفريد (٤٦١/٤) والاغاني (٧٣/٧) .

يزيد بن عبدالملك ، على الرغم من نفوره منه وانتقاصه له يوم كان ولياً للعهد ، فقد ذكروا العباس وجماعة من بني أمية كانوا عند هشام بن عبدالملك وهو خليفة . فذكروا الوليد بن يزيد فَحَمَّقوه وعابوه ، وكان هشام يبغضه . ودخل الوليد ، فقال له العباس : « كيف حبّك للروميّات ، فأنّ أباك كان مشغوفاً بهنّ » ، فقال : « إني لأحبّهن ، وكيف لا يُحبّبْن وهنّ يَلِدْنَ مثلك ؟! » ، قال : « اسكت فلستَ بالفحل يأتي عَسْبه(١٣٤) بمثلي »(١٣٥) .

وقد تكون هذه المحاورة من اختلاق الأدباء للتسلية والترفيه عن النفوس ، ولكن كلّ الدلائل تشير إلى أنّ الوليد بن يزيد لم يكن محبوباً من الناس لانحرافه عن تعاليم الدين والخلق الكريم، ومع ذلك فأن العباس لم يشجّع أخاه يزيد بن الوليد ، حرصاً على وحدة الصف ، وحفاظاً على صِلة الرَّحم ، وقطعاً لدابر الفتن .

وصدق ماتوقّعه العباس ، إذ اضطرب أمر بني أميّة ، وثار أهل (حمْص) ، وخالف أهل فلسطين ، وعصى أهل (اليمامة) ، وشقّ أهل (خراسان) عصا الطاعة ، واستفحل أمر دعاة العباسيين ، وخرج مروان بن محمد عن سيطرة الدولة ، وضاعت هيبة الحكّام ، وقد حدثت كل هذه القلاقل والفتن خلال حكم يزيد بن الوليد الذى كان نحو ستة اشهر .(١٣٦)

أما العباس ، فلم يسلم هو الآخر من شظايا فتنة لم يكن من دعاتها ، ولكنه اكتوى بها وبنارها، فقد اغلق أهل (حمْص) ابوابها بعد مقتل الوليد ابن يزيد ، واقاموا النوائح والبواكي عليه . وقيل لهم : إنّ العباس أعان عبدالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك على قتل الوليد بن يزيد !! فهدم أهل (حمص) دار العباس وانهبوها وسلبوا حرمه ، وطلبوه ، فسار إلى أخيه يزيد !(١٣٧)

لقد كان العباس بعيد النظر ، حين نصح بالابتعاد عن الفتنة ، والتمسك بالوحدة ، والتخلي عن الفرقة .

ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

(١٣٤) العسب : ماء الفحل .

(١٣٥) العقد الفريد (٤/٢٥) و (٤/٥٠) مع اختلاف بسيط .

(١٣٦) انظر التفاصيل في : ابن الاثير (٥/٢٩٢-٣١٥) وسائر المصادر التاريخية الاخرى .

(١٣٧) ابن الاثير (٥/٢٩٢) .

٤ . روى العَبّاس عن مُعاذ بن جبل حديثاً واحداً مرسلا ، أنه قال : « قال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : مَنْ بنى لله مسجداً ، بنى الله له بيتاً في الجنة » .(١٣٨)

وكان العَبّاس شاعراً له ذكر بين الشعراء وطبقاتهم .

ومن شعره ، أنه علم بأن مَسْلَمَة بن عبد الملك يعيبه ويذمه (١٣٩) ، ومن المحتمل أنّ سبب ذلك هو اختلافهما في الأساليب القتاليّة ، وهذا ما يحدث كثيراً بين القادة وغيرهم من ذوى المناصب القيادية والسياسيّة والأدارية والعلمية ، وهي عداوة أهل المهنة كما يقول المثل العربيّ القديم .

ووقع بينهما اختلاف ، فكتب العَبّاس إلى عمّه مَسْلَمَة :(١٤٠)

ألا نفسي فداك أبا سعيد(١٤١)
وتقصر عن مَلاحاتي وعذلي
فلولا أنّ أصلَك حين يُنمى
وفرعَك منتهى فرعي وأصلي(١٤٢)
وانّي إن هُضِمْتُ عظمي
ونالتني إذا نالتك تَبْلي
لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ
يقصّر منك عن شتمي واكلي(١٤٣)
كقول المرء عمرو في القوافي :
« أريد حياته ويريد قتلي »(١٤٤)

ومن شعره قصيدته التى قالها لأصحابه حين هموا بخلع الوليد بن يزيد :(١٤٥)

(١٣٨) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٧٠) .

(١٣٩) ابن الاثير (٥/٧٤) .

(١٤٠) ابن الاثير (٥/٧٤) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٧١) ومعجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) .

(١٤١) ورد صدر البيت : الا تقنى الحياء أبا سعيد في : تهذيب ابن عساكر (٧/٢٧١) ومعجم الشعراء (٢٦٤) وأبو سعيد : كنيته مسلمة بن عبدالملك .

(١٤٢) ورد عجز البيت : وفرعك كان من فرعي واصلي ، في معجم الشعراء (٢٦٤) ، وورد في تهذيب ابن عساكر : وقومك كان من فرعي واصلي .

(١٤٣) ورد عجز البيت : يضم حشاك من اكل وشرب ، في معجم الشعراء (٢٦٤) ، وورد في تهذيب ابن عساكر (٢/٢٧١) : يضم حشاك عن شرب واكل .

(١٤٤) في معجم الشعراء ورد بيت يسبق البيت الاخير ، هو :
كقول المرء عمرو في القوافي لقيس حين خالف كل عدل
ونص البيت الاخير كما ورد في معجم الشعراء (٢٦٤) :
عذيرى من خليل من مراد أريد حياءه ويريد قتلى !

(١٤٥) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٧٠) .

يا قومَنا لا تملّوا نعمةً لكمُ
إنّ الأله لكم فيما مضى صَنَعُ(١٤٦)
فأنتم اليوم أهل لِلْمُلكِ مذحقبٍ(١٤٧)
وأهل دُنيا ودينٍ مابه طَمَعُ
فانفوا عدوّكمُ عن نَحتِ أثلتكم(١٤٨)
واستجمعوا، إنّ أمر الدّين مجتمع
قوموا عليه كما قام الأُلى نصروا
حتى تولّوا وماخافوا وماجزعوا
إنّ الكبير عليكم في ولايتكم
أن تصبحوا وعمود الدّين مُنصَدِعُ
لا يلحمنّ(١٤٩) ذئابَ النّاسِ أنفسكمُ
إنّ الذّئاب إذا ما ألحمت رتَع(١٥٠)
لا تبقرنّ بأيديكم بطونكمُ
فثَمّ(١٥١) لاحسرةٌ تغني ولاجزَعُ
لا يلقينّ عليكم من جنايتكم
مع الشّقاء يديه الأزلم(١٥٢) الجذَعُ(١٥٣)
إنّي أعيذكم بالله من فِتَنٍ
مثل الجبال تسامى ثمّ تَندفع
لستم كماكان قبل اليوم يسعرها
بالمَشرَفيّة(١٥٤) بيضاً حين تنتزع

والسّمهرية(١٥٥) مطرور أسنتها
وحومة الموت تغلى وردها شِرَع(١٥٦)
إنّ البريّةَ قد ملّت ولايتكم
تمسّكوا بحبال العهد وادّرعوا
فلن تزالوا رءوس النّاس ما صَلحوا
وما شكرتم وضحى العهد يتّبَعُ

وكان الذى هم بخلع الوليد بن يزيد ، هو هشام بن عبدالملك ، فكتب إليه العباس بهذا الشعر(١٥٧) ، والصحيح أنّ الذى همّ بخلع الوليد هو يزيد بن الوليد(١٥٨) ، كما ذكرنا سابقاً ، فتمثل العبّاس بأربعة أبيات من هذا الشّعر مع اختلاف بسيط في الفاظ تلك الأبيات الأربع وما جاء في تلك الأبيات ضمن القصيدة الكاملة هذه(١٥٩) ، وقد نصّ ابن الأثير في تاريخه : أنّ العباس تمثل بهذه الأبيات الأربع ، دون أن ينسبها إليه ، بينما ورد بيتان منها في معجم الشعراء للمرزبّانى نسبها إلى العباس ، مما يؤيد نسبتها إليه ، وأنه هو قائلها، وهى من مَقوله لامن مَنقوله ، والبيتان من القصيدة هما :(١٦٠)

لا يلقينّ عليكم من سفاهتكم
مع الشّقاء يديه الأزلمُ الجذَعُ
لا ترتعنّ ذئاب السّوء ملكهُم
إنّ الذّئاب إذا ما أرتعت رتع

ومن شعره قوله فيزوجته أمسعيد بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان رضى الله عنه، وكان قد طلقها ثم ندم(١٦١) :

أسَعْدة هل إليك لنا سَبيلٌ
وهل حتى القيامة من تلاقى

(١٤٦) صَنَعٌ : ماهر ، حاذق في الصنعة .
(١٤٧) الحُقُب : المدة الطويلة من الدهر ، ثمانون سنة أو اكثر ، وفي التنزيل العزيز : (لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو امضي حُقُبا) .
(١٤٨) الاثلة : الاصل ، والميرة تجلب الى القوم ، ومتاع البيت ، والأهبَة والعدّة . ويقال : نحتَ اثلته : عابه وتنقصه ، قال الأعشى :
الستَ منتهياً عن نحتِ أثلتنا
ولست ضائرها ما أطّتِ الابلُ
(١٤٩) لَحِمَ : اشتهى اللحم وقَرِمَ اليه ، واكل منه كثيرا . ولحم الصّقرُ : اشتهى اللحم .
(١٥٠) رتَعت الماشية : رعت كيف شاءت في خصب وسعة . ورتع في لحمه : اغتابه ، فهو راتع (ج) : رِتاع" ، ورُتّع" .
(١٥١) وردت في الأصل : ثمت ، ولا يستقيم البيت .
(١٥٢) الأزلم : الوَعِلُ ، والدهر الشديد الكثير البلايا .
(١٥٣) الجذَع : يقال ذهب القومُ جِذَعَ مِذَعَ : تفرقوا في كل وجه .
(١٥٤) المَشرَفيّة : هي سيوف منسوبة الى (مَشارف) الشام ، وهي قرى من ارض العرب تدنو من الريف ، او كل قرية بين بلاد الريف وبلاد العرب . قال المبرد : نسبت هذه السيوف الى المشارف من ارض الشام ، وهو الموضع الملقب : (مؤتة) الذي قُتِلَ فيه جعفر بن ابي طالب واصحابه ، انظر معجم متن اللغة (٣٠٩/٣) .

(١٥٥) السّمْهري : الرمح الصليب العود ، وهو المنسوب الى (سَمْهَر) وهو رجل له زوجة تسمى : ردينة ، يثقفان الرماح ، فنسبت اليهما ، انظر معجم متن اللغة (٣/ ٢١٧] .
(١٥٦) شرع (ج) الشّرعة : الوتر الدقيق مادام مشدودا على القوس . وقيل : او العود ، او الوتر مشدودا وغير مشدود ، انظر معجم متن اللغة (٣٠٦/٤) .
(١٥٧) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .
(١٥٨) ابن الأثير (٢٨٠/٥) ومعجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) .
(١٥٩) ابن الأثير (٢٨٤/٥) .
(١٦٠) معجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) ، والاختلاف في بعض كلمات هذين البيتين وبين ما ذكرت في تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) واضح .
(١٦١) معجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) وتهذيب ابن عساكر (٢٧١/٧-٢٧٢) ، ولا يمكن ان تكون سعدة بنت عثمان ابن عفان لتباعد الزمن ، بل هي كما ذكرنا .

بلى ، ولعلّ ذلك أن يؤاتى[١٦٢]

بموتٍ من حليلك أو فراق

فأرجع شامتاً وتقرّ عيني

ويشعب صدعنا بعد اشتياق

ومن دراسة شعر العبّاس ، يبدو انه من الشعراء الهواة ، لا يبلغ أن يكون شاعراً يَجرى ولا يُجرى معه ، ولا أن يكون شاعراً لا تشتهى أن تسمعه ، بل هو شاعر يجرى بوسط المعمعة .

٥ . بقى علينا أن نتحدّث عن خاصة نفس العباس إنساناً ، فقد قيل عنه أنه يتّهم في دينه[١٦٣] ، وقد نقل ابن عساكر هذه التّهمة عن المرزبانى من كتابه : معجم الشعراء ، فمصدر التّهمة واحد ، والمتهم يُعنَى بالأدب لا بالتاريخ.

أما المصادر التاريخيّة القديمة المعتمدة ، فلم تذكر شيئاً عن انحرافه الدينيّ ، ولم توجّه إليه مثل هذه التّهمة ، بل ذكرت ما يؤكد ميله إلى الدين ، كموقفه في غزوة (طوانة) ، فقد اجتمع عليه نحو مئة الف من الرّوم ، فلما ثبت أعداؤه نادى : « اين الذين كانوا يلتمسون الشهادة أين اهل القرآن ؟ »[١٦٤] .

كما انه كان حريصاً على بناء المساجد ، كما فعل في بناء المسجد الجامع في مدينة (مَرْعَش).

ولو أنّ العباس كان يتهم في دينه ، لما سكت عنه المؤرخون الثقاة ، فهم لم يسكتوا عن انداده من بنى أميّة ، بل لم يسكتوا عن قسم من خلفاء بنى امية ، وسجّلوا انحرافاتهم بصراحة وبكثير من القسوة في بعض الأحيان ، وقالوا في قسم منهم ما لم يقله مالك في الخمر ، كما يقول المثل العربي المشهور !

وسكوت المؤرخين الثقاة عن العبّاس ، وحديثهم عن جهاده وسيرته العطرة بالثناء دون الأشارة إلى اتهامه في دينه ، ينفى عنه هذه التهمة التى لا دليل عليها .

وحتى المرزبانى الذى اتّهمه في دينه ، لم يذكر كلمة واحدة دليلاً على صدق هذا الاتّهام .

(١٦٢) ورد كذلك في معجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) ، أما في تهذيب ابن عساكر (٢٧١/٧) ، فقد ورد صدر هذا البيت : بلى ولعل دارك أن تؤاتى .

(١٦٣) تهذيب ابن عساكر (٢٧١/٧) ومعجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) .

(١٦٤) تهذيب ابن عساكر (٢٧١/٧) .

ومن الأنصاف أن نذكر ، أنّ هذه التهمة لا دليل عليها ، ولو كانت صحيحة لما احجم المؤرخون الثقاة عن ذكرها ، فليس هناك سبب لأحجامهم عن ذكرها وإثباتها ، كما فعلوا مع غيره من بنى أميّة ، وكما فعلوا مع غير بنى اميّة من ذوى الجاه والسّلطان .

وقد وصفه علي بن عبدالله بن العبّاس ، وكان لا يحبّ الأمويين ، ويعمل سراً وعلناً على تقويض ملكهم وانتزاع السلطة منهم ، وكانت الدعوة العباسية قد استشرت في تلك الايام ، ولها دعاة يعملون لتحقيق اهدافها ، فقال عليّ : « لو قيل لى : إنّ هذا الامر لا يخرج من آل مروان ، ثم قيل لى : اختر رجلاً لهذا الأمر ، ما اخترتُ إلاّ العبّاس ، فاني ما سمعت منه كلمة خنا منذ جالسته »[١٦٥] . وهذه شهادة لها وزنها وقيمتها ، لأنها صادرة عن أكبر شيوخ بنى العبّاس بحق اموىّ من الأمويين ، وهى إن دلّت على شيء فانما تدلّ على كذب التّهمة في دين العبّاس . وقد ذكر عنه أنه كان امرؤصدق ، ولم يكن في بنى أمية مثله ، كان يتشبه بعمر بن عبدالعزيز .[١٦٦]

والذى يبدو انه كان مترفاً ، يميل إلى الترفيه عن نفسه ، ويحب أن يلهو كما يلهو غيره من أولاد الخلفاء ، دون الخروج على تعاليم الدّين الحنيف ، فهو غير متّهم في دينه ، ولكنه ليس تقياً ورعاً كعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ، الذى اعتبره قسم من المؤرخين خامس الخلفاء الراشدين

ومما يروى عنه ، انه كان في مجلس عمر بن عبدالعزيز ، فعرضت على عمر جوارٍ ، فكلما مرّت به جارية تعجبه قال : « يا امير المؤمنين اتخذ هذه ؟! » ، فلما أكثر قال له عمر : « اتامرني بالزنا ؟! » ، فقام العباس من مجلس عمر ، فمرّ بأناس من أهل بيته ، فقال لهم : « مايجلسكم بباب رجل يزعم أنّ آباءكم زناة !! » .[١٦٧]

ولست أصدّق هذه الرواية ، فقد كان عمر في شغل شاغل عن التوافه ، كعرض الجواري عليه ، كما كان العبّاس أذكى من أن يعرض على عمر بن عبدالعزيز مثل هذا العرض ، فابتعاد عمر عن مثل هذه الأمور معروف للقاصي والداني ، ولكن القصة تنمّ على حب العبّاس لكل ما يرفّه به عن نفسه ، فاذا تخلى عمر عن أى نوع من الترفيه عن النفس

(١٦٥) تهذيب ابن عساكر (٢٧١/٧) .

(١٦٦) الاغاني (٧٣/٧) .

(١٦٧) تهذيب ابن عساكر (٢٧١/٧) .

ورعا ، فليس كلهم مثله ، واين في الناس في تلك الأيام مثل عمر ؟!

لقد كان العباس فارساً سخياً(١٦٨) ، شهماً غيوراً ، شاعراً اديباً ، يقرّب الشعراء ويعطيهم المال والهدايا على مدائحهم ، لذلك مدحه الشعراء واقبلوا عليه .

مدحه جرير فقال(١٦٩) :

إنّ النَّدَى حالفَ العبّاس إن لـه
تبنتّ المكـارم ينمِيَ جدّه صُعُدا

ومدحه الفرَزْدَق فقال(١٧٠) :

إنّ أبا الحـارث العبّاس تأمله
مثل السِّماك الذى لا يُخلِف المَطَرا

ومدحه بُشَيْر بنعبدالله السلمى فقال(١٧١) :

لقـد علمتْ حقـاً إذا هـى حصـلت
لأحسـابها يومـاً لمكرمـةٍ فِهْـرُ
بـأنـك يـا عبّـاس غـرَّةُ مالـكٍ
إذا افتخـرت يوماً وقامّ بها الفَخْرُ
فتًى يجعل المعروف من دون عِرْضِه
وينجزُ ما مَنىّ كمـا يُنجَزُ النَّذْر
نمَتَنْهُ مـن العَلْيـا فتـاةٌ بَرِيَّـةٌ
مـن العيب والآفات ليـس لها فطـر
تسـامى الثريـا او تلـمّ فروعهـا
ويقصـر عنها أن يسـاويها النَّسْـر
فأقسِـمُ لو كان الخلـودُ لواحـدٍ
من النّاس عن مَجْدٍ لأخلدَك الدّهرُ

وإقبال الشّعراء عليه ومدحهم له ،دليل على انه كان سخياً جواداً ، وانه يميل إلى هذا الفخر ويحبّ الثناء وليس دليلاً على انالمزايا التى ذكرها الشـعراء عنه موجودة فيه حقاً ، فطالما سرد الشعراء مزايا لأشخاص غير ميَسَّرة فيهم مـن قريب أو بعيد .

سكن (حِمْص) واستعمله أبوه عليها(١٧٢) كما ذكرنا من قبل ، وكانت داره بدمشق قبلة زقاق العجم مما يلى درب السلّم والخضرآء(١٧٣) .

وكان احمر اشقر(١٧٤) ازرق(١٧٥) .

والدته نصرانية مسـيحيّة كما مـرّ بنا، رومية(١٧٦) .

وكانت تحتـه بنت قَطَرِىّ بـن الفُجـاءة الخارجىّ الشاعر ، سباها وتزوجها(١٧٧) ، كما كانت تحته سَعْدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ابن عفان رضى الله عنـه طلقها ثم ندم عليها(١٧٨)، وكانت تحته رُبَيْحَة بنت عبدالله بن حكيم بن حزام وامها سُكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم(١٧٩) ، وقد ولدت له بنت قَطَرِىّ بن الفُجاءة المؤمَّل والحارث(١٨٠) ، وسكت المؤرخون عن زوجاته الأخريات .

وكان للعبّاس ثلاثون ابناً ذكوراً ، منهم : نَصْر دخلَ الأندلس ثم رجع ، والمؤمّل، والحارث(١٨١) .

وسجن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى اميّة العباس ، لأنه خافه على نفسه ،وخشي أن يخرج عليه ، فقتِل في سجنه خنقاً(١٨٢) ، وفي رواية : انّه مات في سجنه بالوباء في مدينة (حرّان)(١٨٣) الذى كان العباس في سجنها مع جماعة من بنى اُميّة وبنى العباس وبنى هاشم ، وكان موته سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية(١٨٤) (٧٤٩م) .

وارجّح انـه مات بالوباء ، إذ لا اتصوّر أن

(١٦٨) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .
(١٦٩) العيون والحدائق (١٤) .
(١٧٠) العقد الفريد (٤٢٢/٤) والعيون والحدائق (١٤) .
(١٧١) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/١–٢٧١) .
(١٧٢) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .
(١٧٣) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .
(١٧٤) ابن الاثير (٧/٥) .
(١٧٥) المعارف (٥٨٥) .
(١٧٦) العقد الفريد (٢٥/٤) و (٤٥٠/٤) .
(١٧٧) العقد الفريد (٤٢٢/٤) والعيون والحدائق (١٤) .
(١٧٨) معجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) وانظر تهذيب ابن عساكر (٢٧١/٧) ، وفيه : ان سعدة بنت عثمان بن عفان وهذا خطأ بل هي حفيدته .
(١٧٩) جمهرة انساب العرب (١٢١) .
(١٨٠) العقد الفريد (٤٢٢/٤) والعيون والحدائق (١٤) .
(١٨١) جمهرة انساب العرب (٨٩) .
(١٨٢) مروج الذهب (٢٤٤/٣) .
(١٨٣) حران : مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة ابن عمر ، وهي قصبة ديار مُضَر ، بينها وبين الرها يوم واحد ، وبين الرقة يومان ، انظر التفاصيل فيمعجم البلدان (٢٤١/٣ –٢٤٢) .
(١٨٤) ابن الاثير (٤٢٢/٥) وانظر تهذيب ابن عساكر (٢٧٢/٧) وابن خلدون (٢٧٨/٣) .

تبلغ القسوة بمروان بن محمد أن يَقْدِم على قتل العبّاس خنقا .

ولا ذكر لتاريخ مولد العبّاس ، ولكنه تولى أول منصب قيادى له سنة ثمان وثمانين الهجريّة (٧٠٧م) ، وأبناء الخلفاء وامراء البيت المالك الأمويين لايتولون مثل هذا المنصب القيادى اعتياديا قبل ان يبلغوا سنّ العشرين من أعمارهم يزيد ذلك قليلاً أو ينقص قليلا ، ولكن عمر العشرين هو المعدّل غالباً ، كما مرّ بنا في سِيَر قادة الفتح من بنى أميّة .

نستنتج من هذا ، أنّ العباس ولد في نحو سنة ثمان وستين الهجريّة (٦٨٧م) ، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩م) ، أى أن عمره حين فارق الحياة كان أربعة وستين عاما قمريّا واثنين وستين عاما شمسياً .

ومضى العباس إلى جوار ربّه ، بعد أن أثرى الفتح الأسلامى ، وقدّم درساً لدعاة الفتنة والتفرقة ، بأنّ الفتنة لا تصيب الذين أشعلوها خاصة ، بل الذين بذلوا قصارى جهودهم لأخمادها ، فتحرق البريء والمجرم ، وبأنّ التفرقة تضعف الدول وتؤدى بها إلى الانهيار .

القائد

أثمر التدريب العسكرىّ للعباس على الفروسية ، فأصبح العبّاس : « فارس بنى أمية »(١٨٥) في أيامه « وفارس بنى مروان(١٨٦) » أصحاب السلطة والسلطان .

وقد اهتمّ الوليد بن عبدالملك بابنه العباس اهتماماً خاصاً ، وقد يكون سبب هذا الاهتمام أنّ العباس كان أكبر أولاد الوليد ، فَوَجَدَ فيه وجْداً شديداً ، وكان له في قلبه أحسن موقع ، « فأدّبه بجميع الآداب »(١٨٧) . وقد يكون سبب هذا الاهتمام أنّ الوليد وجد في ابنه العباس استعداداً فطريا ورغبة عارمة في التّعلم وتلقى العلوم والآداب والفنون . ومهما يكن السبب ، فقد كان الوليد حين يتحدّث على بنيه ، يقول عن العباس : «العبّاس فارسهم» أو: «العباس أفرسهم(١٨٨)» ، مما يدل على أن تدريب العباس اثمر أحسن الثمرات ، فأصبح فارساً لامعاً في أيامه .

وقد كان للتدريب العسكرى في أيام السّلام أو في ميادين التدريب العسكرى البعيدة عن ساحة الحرب ، أسبقيّة مطلقة بالنسبة لأبناء الخلفاء وذكور البيت المالك ، وكان هذا النوع من التدريب يقتصر على ركوب الخيل ، والرمى ، والسباحة والسير مسافات شاسعة ، وتحمل التقلبات الجوية صيفاً وشتاء ، والصبر على الجوع والعطش والاكتفاء بالقليل من الطعام والماء ، وتناول الطعام الخشن وشرب المياه المرّة ، والعيش في المعسكرات البعيدة عن الترف ، ودراسة الأساليب التعبويّة وفنون القتال ، وقراءة تاريخ الحروب وبخاصة غزوات النبى صلى الله عليه وسلّم وسراياه وايام العرب قبل الأسلام وبعده وتاريخ الفتح الاسلامى وسِيَر القادة الفاتحين ، وقد استطاع العبّاس أن يبز اقرانه في مجال الفروسيّة التى تشمل الضرب بالسّيف والطعن بالرمح والتصويب بالسهام ، مع أنّ التدريب على الفروسية من أصعب التدريبات العسكريّة واشقّها حينذاك .

إلاّ أنّ التدريب العسكرى نظريا وعمليا ، الذى يكون بعيداً عن ساحة القتال ، بعيداً عن أخطار الحرب ، أقلّ أهمية من التدريب العسكرى الذى يتعلّمه الجندىّ والقائد في ساحة القتال ، لأنّ التدريب الاول هو تدريب فرديّ ، والثاني هو التدريب الاجمالى ، والأول اساس الثانى ، ولكن الثانى ثمرة الأول والتطبيق العملىّ للتدريب الفردى ، وقد مارس العبّاس التدريب الاجمالى عملياً في ساحة القتال ، وهو ما نطلق عليه اليوم : تطعيم المعركة(١٨٩) ، فأصبحت له تجربة عمليّة على ممارسة القتال .

وقد كان للوليد بن عبدالملك مزايا كثيرة ، منها : « انه كان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الرّوم(١٩٠) » .

وكانت للوليد ثلاثة أهداف من إرسال بنيه في كل غزوة ، وهى اهداف جليلة لو تعلمناها اليوم لتبدل حالنا إلى أحسن حال .

الهدف الأول : أن يؤثر بنيه بالخطر في الحرب ، ولا يجعلهم يستأثرون بالأمن في السّلام ،

(١٨٥) العيون والحدائق (١٤) والمعارف (٢٥٩) .
(١٨٦) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .
(١٨٧) تهذيب ابن عساكر (٢٧٠/٧) .
(١٨٨) العيون والحدائق (١٤٩) .
(١٨٩) تطعيم المعركة : ممارسة القتال عمليا للتعود على جو المعركة وتحمل اعبائها عمليا .
(١٩٠) ابن الأثير (٩/٥) والبداية والنهاية (١٦٤/٩) .

وبهذا يقدّم القدوة الحسنة لرعيته ، فلا يطالبهم بالجهاد بما فيه من تكاليف التضحية والبذل والفداء ،دون أن يطالب أولاده بما يطالب به غيرهم من الناس ، وحينذاك لا يستطيع أحد أن يتخلّف عن الجهاد ، بحجة أنّ الخليفة يطالب غيره بالبرّ وينسى نفسه .

والهدف الثاني : أن يجعل اولاده يشاركون في شرف الجهاد ، وهو شرف عظيم وفرض من فروض الدين الحنيف ، وشتّان بين المجاهدين والقاعدين .

والهدف الثالث :أن يدربهم عملياً على متطلبات القتال جنوداً وقادة ، فليس الذى يدرس تاريخ الحرب كالذى يعانيها .

ولقد كان نصيب العبّاس بن الوليد بن عبد الملك من الجهاد أوفى نصيب ، فقد جاهد ثلاث سنوات (سنة ثمان وثمانين وتسع وثمانين الهجريتين) مع مَسْلَمة بن عبدالملك وبأمرته المباشرة ، ليتعلّم فنّ القيادة من قائد فذ ، وغزا سنة تسعين الهجرية مستقلاً ولكن في نطاق ساحة قتال عمه مسلمة أيضاً ، ليكون بأشرافه غير المباشر ، وبذلك استكمل العباس في هذه السنوات الثلاث تدريبه العملي في ساحة القتال على القيادة بأشراف مسلمة المباشر وغير المباشر .

وبعد هذه السنوات الثلاث ، انطلق العباس قائداً مستقلاً ،فأفتتح مدناً وحصوناً كثيرة من بلاد الروم(١٩١) ، كما سردنا تفاصيل غزواته وفتوحه فيما ذكرناه عن : (جهاده) .

ومن المعلوم أن القائد المتميّز يتّصف بثلاث خصال : الطبع الموهوب أولاً ، والعلم المكتسب ثانياً ، والتجربة العملية ثالثاً وأخيرا .

وقد تيسّرت فيه خصلة : العلم المكتسب، بشكل قلما تيسّر في غيره من القادة ، نظراً لظروفه الخاصة به ، وهي رعاية أبيه له في مجال التعليم رعاية بلغت الغاية حقاً .

كما تيسّرت فيه التجربة العملية تدريباً وتنفيذاً في ساحات القتال .

اما اتّصاف العباس بالطبع الموهوب ، فانّ المعلومات الواردة في سيرته قائداً وإنساناً لا تعين على إعطاء القرار الصّائب : هل كان قائداً موهوباً، أم كان قائداً موظفا حسب .

فقد قضى ثلاث سنوات من حياته العسكريّة غازياً للتدريب على واجبات القائد ، وقضى أربع سنوات قائداً مستقلاً : سنة ثلاث وتسعين ، وأربع وتسعين ، وخمس وتسعين ، وثلاث ومئة الهجرية ، ولكن غزواته كانت غزوات تعبوية لا سَوْقيّة (استراتيجية) ، بينما كانت ظروفه ابناً لخليفة واخاً لخليفة تعينه ــ لو أراد ــ أن يقضي عدداً من السنين أكثر في الجهاد ، وتعينه أيضاً على تولي قيادات كبرى ذاتأهداف سَوْقيّة

والعهد بالقادة الموهوبين أن يقضوا أكثر سني حياتهم في ساحات القتال ، ويتولّوا قيادات كبرى ذات أهداف سَوْقيّة .

أما سنة اثنتين ومئة الهجرية ، فقد قضاها في ساحة قتال العراق ، لفرض القضاء على ثورة ابن المهلّب ، وكان العباس في هذا الاقتتال قائداً مرءوساً ، وكان القائد العام هو عمه مَسْلَمة بن عبدالملك ، وكان العباس على مقدّمة مسلمة يوم (العَقْر)(١٩٢) الحاسمة .

إنّ القائد الموهوب ،يقضي معظم حياته غازياً لا جابيا ، والذى يبدو أنّ العباس قضى معظم حياته جابياً لا غازيا ، فتولى (حِمْص) وسكنها، وتولى مدينة (حَلَب) .

ولكنه كان يكره (الفتنة) ويحرص على وحدة الصفوف ، كما كان دمثاً رضيّ الخُلق ، لا تسمع منه كلمة(١٩٣) خنا ولا نابية ،وهذا ما يجعله محبوباً من رجاله ، يبادلهم حباً بحب ، موثوقاً به من الذين يعملون تحت إمرته ، يبادلهم ثقة بثقة، وهاتان صفتان للقائد المتميز .

كماكان لايستغلّ سلطانه لمصلحتهالشخصية، فيستأثر بالمغانم ويؤثر جنوده بالمغارم ، فقد كان نصيب كل جندي من مغانم معركة (طوانة) مئة دينار ، فكان سهمه ما أصاب كلّ واحد من أفراد جيشه(١٩٤) ،وهذا يدل علىانه كانيعدل فيالرعيّة ويقسم بالسويّة .

وهذه صفة من صفات القائد المتميّز أيضا .

وحين تولىّ الوليد بن يزيد بن عبدالملك الخلافة ، كان أول شيء نظر فيه أن كتب إلى

---

(١٩١) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٧٠) ، وانظر التفاصيل في (جهاده) من هذا البحث .

(١٩٢) معجم الشعراء للمرزباني (٢٦٤) .
(١٩٣) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٧١) .
(١٩٤) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٧١) .

العبّاس أن يأتيَ (الرُّصافة)[195] ويحصي ما فيها من أموال هشام بن عبدالملك وولده ، ويأخذ أمواله وحَشَمه ، ففعل العبّاس ما أمره به الوليد[196] .

وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدل على أمانة العبّاس ،وهي صفة من صفات القائد المتميّز أيضاً كما تدل على قوة شخصيته ، إذ لا يستطيع أن يتقدم على تصفية خليفة راحل له ابناء أشداء غير قوى الشخصية عظيم المكانة مهاب .

وقد كان العبّاس فارساً لا يشق له غبار، شجاعاً مقداما ، لا يَجْبُن أبداً ،ويثبت في المعركة ويحرّض رجاله على الثبات كما حدث في معركة (طوانة) وقتاله في العراق بمعركة (سُوْرا) ، إذ كانت الجولة الأولى في هاتين المعركتين للعدو، ولكن ثبات العبّاس غير سير المعركة من الهزيمة إلى النصر .

ومن الواضح انّ للعبّاس قابلية أدبية، استغلّها في تحريض المقاتلين على الثبات ، وهذه القابلية ميزة من ميزات القائد الجيّد .

لقد كان قائداً تلقى العلوم العسكريّة والنظرية ، ومارس القتال ، يتحلى بالضبط المتين، محبوباً ، ثقة ، ذا خلق متين ، غير مستغل ،اميناً، شجاعاً مقداما ، فارساً من الطراز الأول ، خطيباً مؤثراً في اتباعه ، ولكنني أشك في انه كان قائداً موهوبا ، والدليل على ذلك بقاؤه بعيداً عن حصار (القسْطَنْطِيْنِيَّة) في أيام سليمان بن عبدالملك، ولو كان موهوباً لكان له دور مرموق في ذلك الحصار ، ولاستعان به سليمان بن عبدالملك كما استعان بغيره من قادة بني أمّية وغيرهم ، ولما أبقاه على الهامش بعيداً عن معاونة مسلمة بن عبد الملك في الحصار .

ولعلَّ مسلمة كان فيشك من قابلية العبّاس القيادية ، وهو الذى درّبه على التطبيق العملى في الجهاد ، لذلك نشب بينهما الخلاف حين كانا يعملان معاً في ساحة الاقتتال بالعراق ، فبلغ ذلك يزيد بن عبدالملك ، فبعث إليهما وأصلح بينهما[197]

ولكنّ فضل العبّاس في حماية الحدود الشمالية الغربية للدولة لا ينكر ، وفضله في الفتوح التعبوية واضح للعيان .

العباس في التاريخ

يذكر التاريخ للعباس تمسكه الشديد بأهداب وحدة الصف ، وابتعاده عن احداث المشاكل والفتن ، في ظروف كثر فيها أصحاب المشاكل ودعاة الفتن .

ويذكر له انّه لم يشارك في الفتن بلسانه وسيفه ، بل بذل أقصى جهوده لأخمادها .

ويذكر له بعد نظره الذى أعلنه لدعاة الفتن، فوقع ما توقّعه وحدث ما كان يخشاه .

ويذكر له مواقفه الصلبة دفاعاً عن مصير الدولة في القتال والاقتتال على حد سواء .

ويذكر له صفاته الخلقية الرفيعة والتزامه بالمثل العليا التزاماً صارما .

ويذكرله فتوحاتهلكثير منالحصون والمدنفي بلاد الرُوم ، ودفاعه بالهجوم عن الحدود الشمالية الغربية للدولة .

ويذكر له انه ضحىّ بحياته من أجل مُثله العليا ، ولم يُضّح بمُثله العليا من أجل حياته .

ويذكر له انّه كان إدارياً ناجحاً ، ترك آثاراً باقية في (مرعش) تعميراً وتحصيناً ورباطا .

يرحمه الله جزاء ماقدّمه من خدمات مخلصة للدولة فيالميادين الأدارية والسياسية والعسكريّة.

---

(195) الرصافة : رصافة الشام ، وتسمى رصافة هشام بن عبدالملك بن مروان ، تقع في غربي الرقة بينهما اربعة فراسخ على طرف البرية ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها في الصيف ، وقد كانت الرصافة موجودة قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (255/4) والمشترك وضعا والمفترق صقعا (205-206) .

(196) العقد الفريد (452/4) .

(197) ابن الأثير (75/5) .

المحتوى